# بلاغةُ
# عبد القاهر الجرجاني
## في مرآة اللسانيات الحديثة.. نظرية تشومسكي أُنْمُوذَجًا


دكتور

**محمد سعدي أحمد حسانين**

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

كلية اللغة العربية بالقاهرة

جامعة الأزهر



١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

**ملخص البحث**:

عنوان هذا البحث :( بلاغةُ عبد القاهر في مرآة اللسانيات الحديثة.. نظرية تشومسكي أُنْمُوذَجًا) ويعالج هذا البحث أثر عبد القاهر الجرجاني في اللسانيات الحديثة، واتخذ من نظرية نعوم تشومسكي(النظرية التوليدية التحويلية) ميدانا لهذه الدراسة، وسبب اختيار هذه المدرسة أنها المدرسة التي قوَّضت المدرسة البنيوية وأزالتها عن عرشها، وأقامت بناء معرفي يختلف في أصوله ومناهجه عما سبقه.

والغرض من هذه الدراسة البحث في حركة العقل ومسارات التفكير بغية إبراز أثر فكر الشيخ عبد القاهر الجرجاني البلاغية في أفكار نعوم تشومسكي رائد النظرية التوليدية التحويلية، وبيان مدى انتفاع النظرية التوليدية التحويلية بالفكر البلاغي العربي.

وثمرة هذا البحث تظهر في تبيين معالم الالتقاء بين النظريتين البلاغية والتوليدية التحويلية. ويحاول البحث أن يكشف عن حركة العقل اللغوي والبلاغي عند العرب، ومدى تعمقهم في دراسة دقائق اللغة من جهة، ومدى انتفاع الآخر بهذا الجهد البلاغي العربي في مجال اللسانيَّات الحديثة من جهة أخرى.

**Synopsis**: The Eloquence of Abdul-Qaher Al-Gergany Against The Modern Linguistic Styles: Noam Chomsky's "Transformational Generative" as a Model.

This research tackles the effect of Sheikh Abdul-Qaher Al-Gergany on Modern Linguistics by using Noam Chomsky's "Transformational Generative" Theory as a model.

Choosing Chomsky's theory as a model was based on the overwhelming effect it has on the typical "Structuralism", and also the fact it has thrown it out of its throne, building a knowledge-structure and curriculum, fundamentally different.

This study aims at researching and tracking the movement of the mind, and the course of thoughts of Sheikh Abdul-Qaher Al-Gergany, in order to accentuate and highlight his reflection on Chomsky's mind, and also elaborating the value of the effect of Arabic Eloquence in general, on Chomsky's "Transformational Generative".

The conclusion of this research emphasizes on the areas of accordance between the two theories: "The Eloquent", and the "Transformational Generative", as these areas shall subsequently reveal in the research the linguistic and eloquent mind's movements in the Arab Culture, and the true depth the Arabs had reached studying the fine parts of their language. These areas shall also elaborate the value the other language (English) have benefited from these Arabic eloquence efforts in modern linguistics.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمَّد النبيّ الأُمِيّ وعلى آله وصحبه وسلم وبعد،،،

فمنذ عام ١٩٥٧م ظهرت اللسانيّات التوليدية التحويلية بزعامة اللُّغوي الأمريكيّ أفرام نَعُّوم تشومسكي (Avram Noam Chomsky) والتي بدأها بكتابه مظاهر البنى التركيبية (Sntacti Structure) وكُتب لهذه المدرسة اللسانيّة الحديثة الذيوع والانتشار في عالم اللسانيات الحديثة، وكان المنتظرُ من المثقَّف العربي أن يقف موقفًا وسطا من منجزات العقل الغربي، فيقيمها، آخذًا الجديد النافع تاركا ما لا حاجة له به، ولكنَّ غالبَ المثقفين العرب وقع فريسة إشكالية التفاضل بين العقول الحضارية، منتهيًا إلى إخضاع عقله لتبني المنجز الغربي هاضمًا حق العقل العربي، واصمًا له بالتخلف، وهذا من شأنه القيام بقطيعة جذرية بين المثقَّف العربي وتراثه، يقول د: عبد العزيز حمودة: "إنَّ ثنائية الانبهارِ بالعقل الغربي ومنجزاته، واحتقار العقل العربي ومنجزاته تقع في قلب الشَّرْخ الثقافي الذي يعيشه الإنسان العربي بدرجات لا تتفاوت كثيرا من جماعة عربية إلى جماعة عربية أخرى. وبدلا من منطقة وسط يأخذ فيها المثقف العربي ما يتناسب مع ثقافته العربية وتراثه الطويل. نجد الغالبية تعيش الثنائية بكل تناقضاتها ... حينما يُقرْن بالتنكر للتراث الثقافي العربي، أو المناداة كما تفعل النخبة بضرورة حدوث قطيعة معرفية كاملة معه كشرط لتحقيق التحديث والحداثة."(١)

(١) المرايا المقعرة (٣١) د: عبد العزيز حمودة . عالم المعرفة . أغسطس ٢٠٠١م

والغايةُ من هذه الدراسة تمكين المثقف العربي من الإيمان بريادة ثقافته الحضارية، وبيان أنَّ علماء الإسلام لهم مزيد فضل على الحضارة الإنسانية، وأنَّ العقل المسلم له منزلته التي يفتخر بها.

والبحث منصبٌّ على البلاغة العربية وعلاقتها باللسانيات المعاصرة مُتخذًا من نظرية النظم للشيخ عبد القاهر الجرجاني والنظرية التوليدية التحويلية لنَعُّوم تشومسكي مجالا لهذا البحث، وعنوانُ البحث:( بلاغةُ عبد القاهر الجرجاني في مرآة اللسانيات المعاصرة.. نظرية تشومسكي أُنْمُوذَجًا) والبحثُ ينتمي إلى الدراسات البلاغية المقارنة، – التي تُعنَى بدراسة البلاغة عبر أصحاب اللغات المختلفة – ويهدف إلى تقديم صورة من صور تأثير البلاغة العربية في اللسانيات المعاصرة.

وقد كثُرت الدراسات حول الشيخ عبد القاهر الجرجاني أو نَعُّوم تشومسكي، وإنَّما الجديدُ في هذه الدراسة المعالجة الجديدة التي تنظر إلى جهد الشيخ عبد القاهر الجرجاني في مرآة نَعُّوم تشومسكي، ويعد نَعُّوم تشومسكي صاحب نظرية تمايزت عمَّا سبقها من نظرية لغوية حديثة، واختلف مع من سبقه من اللسانيين في صميم المسائل العلمية، وأتى بمدرسة جديدة كُتب لها البقاء حتَّى الآن.

والغرضُ من هذه الدراسة البحث في حركة العقل اللغوي ومسارات التفكير البلاغي بغية إبراز أثر فكر الشيخ عبد القاهر الجرجاني البلاغية في أفكار نَعُّوم تشومسكي رائد النظرية التوليدية التحويلية، وبيان مدى انتفاع النظرية التوليدية التحويلية بالفكر البلاغي العربي. وثمرة هذا البحث تظهر في تبيين معالم الالتقاء بين النظريتين: البلاغية العربية، والتوليدية التحويلية الإنجليزية.

ويحاول البحثُ أن يكشف عن حركة العقل اللغوي والبلاغي عند العرب، ومدى تعمقهم في دراسة دقائق اللغة من جهة، ومدى انتفاع الآخر بهذا الجهد البلاغي العربي في مجال اللسانيات الحديثة من جهة أخرى.

وقد استخدم البحث المنهج الوصفي والمقارن؛ لأنَّ هذه المناهج أليق بمثل هذه البحوث. وهذا الدَّرْسُ على صعوبة مسلكه إلا أنَّه يفتح لنا آفاقًا كبيرة للمعرفة، ويُعد إثراء لروافد المعرفة، وبيان فضل البلاغة العربية – المتمثلة في الفكر البلاغي للشيخ عبد القاهر الجرجاني– على اللسانيات الحديثة عامة والنظرية التوليدية التحويلية خاصة.

ويأتي هذا البحث –إنْ شاء الله تعالى– في مقدمة ومبحثين، المبحث الأول: به مطلبان، الأول: خُصِّص للتعريف الموجز بمؤسس النظرية التوليدية التحويلية، أما المطلب الثاني فقد اهتم بالحديث عن وأسس وركائز هذه المدرسة اللسانية الحديثة، أمَّا المبحث الثاني فخصِّص للحديث عن الجذور التاريخية الجرجانية للنظرية التوليدية التحويلية، ومدى انتفاع تشومسكي من نتاج الشيخ عبد القاهر الجرجاني البلاغي، وجاء في ثلاثة مطالب: المطلب الأول: تحدث عن البنية العميقةُ عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني أصلٌ للبنية السطحية، أمَّا المطلب الثاني فتحدث عن ربط النحو بالعقل في فكر الشيخ عبد القاهر الجرجاني البلاغي، والمطلب الثالث كان الحديث فيه عن بعض قواعد التحويل من البنية العميقة إلى البنية السطحية عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني، واختار البحثُ ظاهرتي التقديم والحذف، ثم الخاتمة والفهارس.

وأخيرا

فقد حاولتُ في هذا البحث قدر الاستطاعة ـ مستعينا بالله ـ أن أُبيِّن الجذورَ التاريخية العربية للنظرية التوليدية التحويلية، وبيان مدى انتفاع نَعُّوم تشومسكي بكتابات علماء العرب، وهذا اقتضى الإبانة أولا عن أمرين: مؤسس هذه النظرية اللسانية، وعن وأسس وركائز المدرسة التوليدية التحويلية. ثم التعريج على أصول هذه النظرية اللسانية الحديثة في تراث الشيخ عبد القاهر الجرجاني.

ولا أزعم أبدًا أنَّ البحث قد أحاط بجوانب المسألة ووفَّاها بحثا، ولكنه قد اجتهد أن يكون بنانًا يُومئ من بعيد إلى مدى أهمية البلاغة العربية، وأنَّ العقل

البلاغي العربي كان منارة اهتدى بها علماء اللسان العربي وغيرهم من أصحاب اللغات الأخرى، وكان له دور الريادة في عملية إنتاج المعرفة الإنسانية وبناء صرح المعرفة.

وبعد فهذا جهد المُقِل، والكمالُ للهِ وحْده، وقد وعد الله المجتهد بالأجر في حال الإصابة وفي حال الخطأ إن صدقت النية، فأسأل الله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم. وأن يغفر لنا ما قصَّرنا، ويثيبنا على ما بذلنا. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على نبينا وسلم.

**د. محمد سعدي أحمد حسانين**

أستاذ البلاغة والنقد المساعد.

بكلية اللغة العربية– القاهرة

جامعة الأزهر

# المبحث الأول: المدرسة التوليدية التحويلية

## المطلب الأول: مَن نَعُّوم تشومسكي؟

هو أفرام نَعُّوم تشومسكي (Avram Noam Chomsky): وُلِدَ في فيلادلفيا بنسلفانيا الولايات المتحدة الأمريكية: (١٩٢٨م)، من أصول يهودية، دَرَسَ في بنسلفانيا في إحدى مدارس ديوايت " حصل على درجة البكالوريوس في عام ١٩٤٩م، وفي عام ١٩٥١م حصل على درجة الماجستير برسالة عنوانها: "الصيغ الصرفية في العبرية" وفي عام ١٩٥٥م حصل على درجة الدكتوراه من جامعة بنسلفانيا، بعنوان التحليل النحوي، على يد أستاذه زليج هاريس.

وفي عام ١٩٥٧م أخرج كتابَه الأوَّل Syntactic Structures (البنى النحوية) فملأ الدنيا وشغل الناس، وأرسى في هذا الكتاب معالم النظرية التحويلية التوليدية: (Transformational generative grammar) ومنذ ذلك الحين ظهر في الغرب علم اللغة التوليدي (Generative Linguistics) وقد أخرج تشومسكي العديد من المؤلفات في شتى مناحي المعرفة، اختصت الدراسات اللغوية منها بنصيب الأسد، نذكر من هذه المؤلفات:

- البنية المنطقية للنظرية اللسانية: ألَّفَه في سنة ١٩٥٥م، لكنَّه أجَّل صدوره إلى سنة١٩٧٥م.
- قضايا معاصرة في نظرية علم اللغويات (١٩٦٤م)
- جوانب في نظرية النحو (١٩٦٥م)
- الأنماط الصوتية في اللغة (بالاشتراك مع موريس هالي ١٩٦٨م)
- اللغة والعقل (١٩٧٢م).

وفي المجال السياسي له العديد من المؤلفات، على سبيل المثال: سلام في الشرق الأوسط (١٩٧٤م) صناعة الإذعان: السياسة الاقتصادية لوسائل الإعلام بالاشتراك مع إيدوار هيرمان ١٩٨٨م) الأرباح أولا والشعوب ثانيا (١٩٩٨م) الدول المارقة (٢٠٠٠م) الهيمنة أو البقاء(٢٠٠٣م)

اطلاعه على اللغة العربية:

اطَّلع نَعُوم تشومسكي على اللغات السامية، فرسالته للماجستير كانت في اللغة العبرية، ومن المعلوم أنَّ علماءَ اللغة اليهود قد تأثروا بعلماء اللغة العرب، وأنَّ الثقافة العربية كانت ثقافة مؤثرة عليهم، وكان علماء اللغة اليهود يحاولون أن يقيموا نظام لغتهم على نحْوِ نظام اللغة العربية "وكان للثقافة العربية أثر فعَّال في العصور الوسطى في تنمية اللغة العبرية، والمحافظة عليها من الانقراض، وقد دأبَ علماءُ اليهود الذين عاشوا في الأقطار الإسلامية على تأليف الكتب اللغوية على غرار المؤلفات العربية في قواعد اللغة من صرف وبلاغة وعروض.[١] ويقول وِل ديورَانت (ت:١٩٨١م) عن الأثر اليهودي في أوربا في العصور الوسطى:"إنَّ كثيرين منهم [أي: اليهود] كانوا يعرفون اللغة العربية، فكان عالم الثقافة الإسلامية الثري بأجمعه في العصور الوسطى مفتوحاً أمامهم يغترفون من بحره الطامي في العلوم والطب، والفلسفة، وبفضل وساطتهم أثاروا عقل العالم الغربي المسيحي بما بثوا فيه من تفكير المسلمين"[٢]. أمَّا اللُّغة العربية فمن الثابت أنَّ نَعُوم تشومسكي قد اطلع على متن الأجرومية في صدر شبابه، "يقول نَعُوم تشومسكي في حوار أجراه معه الدكتور مازن الوعر: قبل أنْ أبدأَ بدراسة اللسانيات العامة، كنتُ أشتغلُ ببعض البحوث المتعلقة باللسانيَّات

(١) دروس اللغة العبرية (٤٦) كمال ربحي- دمشق- ط الثالثة- ١٩٦٣م.

(٢) قصة الحضارة (١٤/٩٥-٩٦) ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس- ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م

السامية، وما زلتُ أذكر دراستي للأجرومية منذ عدة سنوات خلت، وكنتُ أدرسُ هذا مع الأستاذ فرانز رونتال، وكنتُ مهتمًا بالتراث النحوي العربي والعبري".[١]

وإن كان لا يستبعد أنه قد اطلع على كتابي الشيخ عبد القاهر الجرجاني، وممَّا يستأنس به في هذا المقام أنَّ غالب الكتب العربية قد تُرجمت إلى اللغة اللاتينية، وفي قصة الحضارة يتحدث وِل ديورَانت عن آلاف الكتب التي ترجمت من اللغة العربية إلى اللاتينية[٢] فعلى سبيل المثال في عام ١٩٥١م نشر المستشرق الفرنسي جرونبوم (ت:١٩٧٢م) وثيقة من القرن العاشر الميلادي في النظرية الأدبية والنقد العربي، وهو ترجمة للفصول المتعلقة بالشعر في (إعجاز القرآن) للباقلاني مع التعليق عليها.[٣]

وكُتب عبد القاهر الجرجاني قد لاقت حظًّا وافرًا في الترجمة، ولم تكن لتخفى عن أعين المستشرقين، ففي القرن السابع عشر قام المستشرق الهولندي توما فون أرب (١٥٨٤-١٦٢٤م) بطبع كتابه «العوامل المئة» بعدَ أن تمت ترجمته إلى اللاتينية، وقبله إرينيوس في عام ١٦١٧م نشر النَّصَّ العربيَّ لكتاب الآجرومية لابن آجروم المغربي، وكتاب المائة عامل للجرجاني مضبوطة بالشكل مع ترجمة لاتينية وشروح، وعنون هذه النشرة: كتاب الجرميَّة ومأيةُ العامل. [٤] ومُنذ ذلك الحين، لم يفتر اهتمام العلماء بالجرجاني والاحتفاء بكتبه فترجَم بعضها إلى الإنجليزية، سنة ١٨١٤، وقد أعاد أ. لوكت، (A. Lokett) نشر كتاب

(١) المدارس اللسانية المعاصرة، (١٣٠) د. نعمان بوقرة- مكتبة الآداب . ٢٠٠٣م

(٢) قصة الحضارة (١٣/ ٣٨٦)

(٣) ينظر موسوعة المستشرقين (١٨٣) د عبد الرحمن بدوي . دار العلم للملايين . بيروت . الطبعة الثالثة ١٩٩٣م

(٤) موسوعة المستشرقين (١٩)

المائة عامل، وشرحه في ١٨١٤م مع ترجمة إلى الإنجليزية وتعليقات. [١] وقرَّره في بَرامج التدريس بفور وليام في البنغال الهندية. وازداد هذا الاحتفاء رسوخاً حين تجشَّم العَلّامة هلموت ريتر عناءَ تَرجمة «أسرار البلاغة» إلى اللسان الألماني سنة ١٩٥٤م وبعدها اشتغل الدارسون على قراءة آثار الجرجاني وطبعها وتحقيقها.[٢] وجديرٌ بالذكر أنَّ (هـ. ريتر) وضع مقدمته لكتاب «أسرار البلاغة» باللغة الإنجليزية، وأنَّ نَعُّوم تشومسكي كان يعيش في فيلادفيا معايشًا للمجتمعات المجتمعات الأيرلندية الألمانية.

(١) المرجع السابق (٤٧٦)

(٢) ينظر مقال بعنوان: خزائن التراث .. أسرار البلاغة للجرجاني . مجلة تشرين تاريخ: 2017-01-11م

## المطلب الثاني: أسس المدرسة التوليدية التحويلية:
## (Generative Theory Transformational)

**نشأة اللسانيات الحديثة في الغرب:** بدأت دراسةُ اللسانيات في الغرب على يد اللغوي البريطاني جون روبيرت فيرث (J.R.Firth) (١٨٩٠-١٩٦٠م) ونظريته السياقية (Theory of context). يقول د: ردَّة الله الطلحي: "تُعدُّ نظرية السياق التي دشَّنَها فيرث منذ سنة ١٩٣٥م الإسهام الحقيقي للغويين الإنجليز في مقابل الإسهامات الأوربية والأمريكية الأخرى."(١)

وتقوم هذه النظرية على النظر إلى المعنى باعتباره وظيفة في سياقٍ، وأَنَّ هناك عوامل عدة تجتمع لتشكل المعنى، من هذه العوامل: العادةُ والعرفُ والتقليدُ وعناصرُ الماضي وإبداعُ المتكلم.

ويتسع السياق ليشمل السياق الصوتي والصرفي و المعجمي والتركيبي والدلالي، ونظر جون فيرث إلى المعنى على أنَّه مركب من علاقات سياقية ترتكز على مكوِّن اجتماعي، فالمعاني تتعدد بتعدد المواقف الاجتماعية. ولاستبصار المعنى يجب الوعي بالأحوال المحيطة بالمتكلم.

وفي مطلع القرن العشرين سيطرت المدرسة الوصفية البنيوية على مجال الدراسات اللسانية في العالم الغربي، وبلغت المدرسة البنيوية Structuralism أوجها على يد بلومفيلد Bloomfield (١٨٨٧-١٩٤٩م) واللغة في هذه المدرسة السلوكية عملية آلية لا دور فيها للمتكلم، وقد أبان بلومفيلد في كتابه (اللغة) الذي أصدره عام ١٩٣٣م عن ركائز المنهج البنيوي القائم على الوصفية، وإقصاء المتكلم عن العملية الكلامية، والاهتمام بمظاهر اللغة

(١) دلالة السياق (١/١٥٧) رسالة دكتوراه تحت إشراف أ.د: عبد الفتاح البركاوي – مخطوط بكلية اللغة العربية . جامعة أم القرى . السعودية ١٤١٨هـ

السطحية دون النظر إلى المعنى. وقد نتج عن هذا انصراف هذه المدرسة عن معطيات علم النَّحْو القديم.

ومن ركائز البنيوية رفضها لعلم النَّحْو القديم، وهو ما يُعرف بالنحو المعياري الذي يقوِّم اللسان. والنحو في هذه المدرسة هو نحو شكلي صُوريّ، ينظر إلى الصور اللفظية المختلفة التي تعرضها لغة من اللغات بحيث يصف العلاقات الناشئة بين الكلمات في الجملة وصفا موضوعيا، ثم يصنفها على أسس معينة. ومن البيِّن أنَّ هذا اللون من النحو البنيوي يخالف النحو القديم المعياري. (١) وقد لفظت البنيوية أنفاسها الأخيرة في فرنسا وفي العالم الغربي في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات تقريبًا.(٢)

## مولد النظرية التوليدية التحويلية:

بدأت هذه المدرسة اللسانية عندما أصدر نَعُّوم تشومسكي كتابه الأول Syntactic Structures (البنى النحوية) في عام ١٩٥٧م، وهو الذي أعلن بزوغ نجم المدرسة التوليدية التحويلية ( Transformational Generative *Theory*)، وفي هذا الكتاب هاجم مدرسة بلومفيد، وكان نقده منصبًّا على الجانب السلوكي في هذه المدرسة، وفي عام ١٩٦٥م قام بنشر كتابه: Aspects of the theory of syntax (جوانب من نظرية النحو) وقد أكمل نَعُّوم تشومسكي فيه ما بدأه في الكتاب الأول من تنظير لمدرسته، وذكر فيه الكثير من الدلائل التي يدعم بها أسس نظريته الجديدة.

---

(١) ينظر مبادئ النحو البنيوي دراسة تطبيقية (٢٤٣) د: يحيي بعطيش . مجلة الدراسات اللغوية . جامعة منتوري . قسنطينة.

(٢) ينظر البنيوية (النشأة والمفهوم . عرض ونقد) (ص٢٣٥) محمد بن عبد الله بن صالح . مجلة جامعة الأندلس للعلوم والتقنية . ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م

وقد اقتضت الحاجة إلى ظهور هذه المدرسة اللسانية على أنقاض المدرسة البنيوية التي رأت في اللغة ظواهر لفظية فقط، ولم تلتفت إلى عقلية متكلم اللغة، ولم تهتم بالطاقة الإبداعية للمتكلم التي تمكنه من إنتاج واستحداث العديد من الجمل، واللغة الإنجليزية تحتاج إلى مثل هذه النظرية التي تثري اللغة وتجدد دماءها، عن طريق إنتاج عدد غير محدود للجمل انطلاقًا من العدد المحصور من القواعد.

## أهم المفاهيم التي جاءت بها مدرسة التوليدية التحويلية:

يُعَدُّ من أهم المفاهيم الجديدة التي حملها كتاب (البنى النحوية): قدرة المرء على الاستعمال غير المحدود لوسائل محدودة، والاهتمام بالصفات العامة المشتركة في اللغات. ويعد تشومسكي رائد هذه المدرسة اللسانية الحديثة، والمنظِّر الأول لها، وتقع مؤلفاته موقع القطب من الرحى، وقامت مدرسته اللسانية على نقد المدرسة البنيوية.

وتحوَّلت الدراسات اللغوية في النصف الثاني من القرن العشرين إلى المدرسة التوليدية التحويلية والتي هدفها الأول: صياغة وتوليد عدد غير منتهٍ من الجمل والتراكيب بواسطة المتكلم، فاللغة عند نَعُّوم تشومسكي ما هي إلا" مجموعة محدودة أو غير محدودة من الجمل كل جملة فيها محدودة في طولها، قد أنشئت من مجموعة محدودة من العناصر."(١)

وعُدَّت هذه المدرسة ثورة لغوية، فاللغة في هذه المدرسة لم تكن مقصورةً على ما يقال، أو تفسير ما يُقال، بل اتجهت إلى ذلك الإبداع اللغوي، والذي يتمثَّل في القدرة الفطرية الكامنة في المتكلم من أجْلِ توليد الجمل. والفطرية

(١) البنى النحوية (١٧) ترجمة : د: يوئيل يوسف عزيز . مراجعة مجيد الماشطة . وزارة الثقافة والإعلام . بغداد . ١٩٨٧م

اللغوية عنده هي تلك القوة الكامنة في الذهن الإنساني، وهذه الفطرية الذهنية اللغوية قائمة على عدد من الكليات النحوية (القواعد الكلية) التي تقوم بضبط الجمل المنتجة وسبكها بقوانين وقواعد لغوية معروفة. وهذه الفطرية شاملة وعالمية، فهي واحدةٌ في جميع البشر موجودةٌ في الإنسان بفعل وجوده، وأنها تولد معه، وذلك يعني أن هناك فطرة لغوية عميقة عند جميع الناس تظهر على السطح عند التكلم، فالكلام ظاهري، وعمل اللغوي ليس دراسة الظاهر كما يدعي البنائيون، وإنما يجب أن ينصب على دراسة البنية العميقة[1]، وهذا خلاف ما تهدف إليه المدرسة البنيوية التي تعتمد على تحليل ظواهر الكلام.

## ركائز المدرسة التوليدية التحويلية (*Generativism*):

المتتبِعُ لنظرية نَعُّوم تشومسكي يجدها قائمة على الثنائيات، مثل: ثنائية اللغة والكلام، ثنائية الآلية والعقلية، ثنائية الكفاية والأداء، ثنائية البنية العميقة والبنية السطحية. نوجز الحديث عنها فيما يلي:

### أولا: ثنائية اللغة والكلام( Parole & Langue):

استقرَّ الأمر قبل نَعُّوم تشومسكي على التفرقة بين اللغة التي هي نظام مختزن في ذهن كل فرد، وبين إنتاج المتكلم للكلام، ويعود إلى فرديناند دي سوسير (Ferdinand *de Saussure*) الفضل في فكرة هذه الثنائيات الضدية، مثل ثنائية الدال والمدلول، ومن الثنائيات التي طرحها دي سوسير ثنائية اللغة والكلام (Parole & Langue) فبداية أوضح أنَّ اللغة والكلام ليسا بشيء واحد.

(١) ينظر ملامح النظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي في التراث العربي (٥٩) أد: هادي نهر – مجلة التواصل . اليمن . عدد (١٣) يناير ٢٠٠٥م.

(١) فدي سوسير يتعامل مع النظام اللغوي"على اعتبار أنَّ اللُّغة في ماهيتها نظام اجتماعي مستقل عن الفرد، في حين أنَّ الكلام هو منها بمثابة التحقيق العيني الفردي. ومعنى هذا أنَّ اللغة تقنين اجتماعي أو مجموعة من القواعد، في حين أنَّ الكلام فِعْلٌ فرديّ يقوم به شخص ما في حديثه مع أشباهه.(٢)

وهنا يُفرِّق دي سوسير بين تحدث الفرد باللغة، وبين اللغة في نظامها العام، وتحدُّث الفرد باللغة يختلف من واحد إلى آخر.(٣) "حدَّد دي سوسير موضوع علم اللغة الذي لا يصلح إلا له بداهة، بأنَّه اللغة أي النظام اللغوي، أمَّا الكلام فهو الكلام المحدد فقد استبعده موضوعا له؛ لأنَّه حسب رأيه فردي وعارض، ودون نظام داخلي."(٤)

واللغة عنده ظاهرة إنسانية عامة، وقوانين الوراثة هي التي تتحكم في ملكة التخاطب، وتمنح كل إنسان القدرات الذهنية التي تمكنه من اكتساب اللغة.(٥) وقد أعجبت فكرة الثنائيات اللسانيين بعد دي سوسير، فأتى تشومسكي وصرَّح بقدرة المرء على الإبداع اللغوي، وأنَّ قدرة المتكلم العقلية تستطيع إنتاج عدد غير محدود من الجمل والتراكيب من خلال عدد محصور من الأصوات والقواعد. وأنَّ الإبداع أو القدرة الإبداعية Creativity أي: قدرة اللغة الإنسانية غير المحدودة، ونعني بها الطاقة أو القدرة التي تجعل أبناء اللغة الواحدة قادرين على إنتاج

---

(١) دروس في الألسنية العامة (٢٩) ترجمة صالح الفرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة . الدار العربية للكتاب– ١٩٨٥م.

(٢) ينظر مشكلة البنية (٤٤) تأليف د: زكريا إبراهيم . مكتبة مصر.

(٣) ينظر علم اللغة (١٢٩–١٣١) د: حاتم صالح الضامن . جامعة بغداد

(٤) مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي .(٢٥١) بريجيته بارتشت. ترجمة أ.د: سعيد حسن بحيري . مؤسسة المختار ط أولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م

(٥) يراجع دروس في الألسنية العامة (٣٤–٣٥).

وفهم عدد كبير، بل غير محدود من الجمل التي يسمعوها قط، ولم ينطق بها أحد."[١]

ومن هذا المنطلق رأى نَعُوم تشومسكي أنَّ اللغة هي إنتاج العقل، وأنَّ الجملة الظاهرة في الكلام وراءها عمل عقلي ضخم، وأنَّها مثل قمة جبل الثلج، الجزء الأكبر منغمسٌ في الماء، ولا يبدو منه إلا أقلّه.

ويرى تشومسكي أَنَّ الطابع الإبداعي في اللغة هو مما يميّزُ الإنسان عن الحيوان، وهو بهذا متأثّرٌ بما أصَّله رينيه ديكارت، والذي فرَّق بين الإنسان والحيوان بالإبداع اللغوي، وقد ظهر هذا جليًا في كتابه (علم اللغة الديكارتي).

يقول نَعُوم تشومسكي: "إنَّ القدرة اللغوية الإنسانية تبدو وكأنَّها "خاصية نوعية" حقيقية تتباين بصورة بسيطة بين البشر وبدون نظائر لها بين المخلوقات الأخرى.

أقرب النظائر للبشر في هذا المضمار ربما توجد عند الحشرات في مرحلة تطورها الذي يبلغ بليون سنة . فمثلا النظام الاتصالي "التخاطبي" للنحل يشترك مع اللغة الإنسانية في خاصية "الإشارة المتحركة " وهذه تمثل قدرتنا نحن البشر على التحدث حول شيء ما يكون بعيدا في الزمان والمكان . يستعمل النحل نظام "رقص" معقدا لإعطاء معلومات عن الاتجاه والمسافة والرغبة لمصدر بعيد للعسل. لا شيء مشابه معروف في مكان آخر في الطبيعة. حتى في هذه الحالة، فإنَّ القياس ضعيفٌ جدًا. لقد تطوّر التعلم الصوتي افتراضيا في الطيور، لكن في ثلاث مجموعات غير مرتبطة، وبشكل مستقل ؛ القياس هنا باللغة الإنسانية يكون سطحيا بدرجة أكبر.

---

(١) نظرية تشومسكي اللغوية(٥٧) جون لونز- ترجمة وتعليق د حلمي خليل . دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية . ط أولى . ١٩٨٥م

تبدو اللغة الإنسانية معزولة حيويا(بيولوجيا) في خواصها الأساسية، وهي تطور حديث نسبيا. من منظور تطوّري، ليس هناك سبب جدّي اليوم لتحدّي وجهة النظر الديكارتية بأن القدرة على استعمال الإشارات اللغوية للتعبير عن الأفكار المكوّنة بحرية تحدد "الفرق الصحيح بين الإنسان والحيوان" أو الآلة، سواء كنا نعني " بالآلة" الحركية (automata) التي تحكَّمت في التفكير السائد في القرنين السابع عشر والثامن عشر أو تلك التي توفر حافزا للفكر والخيال اليوم.

علاوة على ذلك، تدخل المقدرة اللغوية بشكل حاسم في كلِّ سمة من سمات الحياة الإنسانية؛ الفكر، والتفاعل. وهي مسؤولة بشكل كبير عن الحقيقة بأنَّهُ في العالم الحيوي. البشر وحدهم عندهم تأريخ،وتطور ثقافي وتنويع معقد وغني وحتى نجاح بيولوجي من الناحية الاصطلاحية بأن أعدادهم كبيرة جدًا."[١]

**ثانيا: ثنائية الآلية، والعقلية (Mechanism - Mentality):**

بناء على التفرقة بين اللغة والكلام، والاهتمام باللغة وطرح جانب المتكلم، في المدرسة البنيوية تحولت اللغة إلى آلة، وهذا ما رفضه تشومسكي، فهو يرى أنَّ مفاهيم اللغة الأساسية موجودة في عقل المتكلم، وأنَّ الله تعالى فطر الإنسان عليها. وفي عام (١٩٧٢م) صنَّف كتابه: (اللغة والعقل) مُثمنًا عقل المتكلم في إنتاج الكلام. يقول نَعُّوم تشومسكي:

"إنَّ اللغة هي نتيجة تفاعل عاملين؛ الحالة الأولية (البداية) ومدة التجربة. يمكننا أن نعتبر الحالة الأولية "أداة اكتساب اللغة" الذي يأخذ التجربة "مدخلا " ويعطي اللغة

---

(١) مقال بعنوان: " Language and Mind: Current Thoughts on Ancient Problems (part I)." Paper presented at University de Brasilia, November 25, 1996. وترجمته: اللغة والعقل: الأفكار السائدة حول المشاكل القديمة . نعوم تشومسكي– ورقة مقدَّمة إلى جامعة برازيليا– ٢٥ نوفمبر ١٩٩٦م ترجمة د. بشير محمد الشاوش

"ناتجا" يمثّل داخليا في العقل /الدماغ. إنّ المدخل والناتج كليهما مفتوح إلى الفحص: يمكننا أن ندرس فترة التجربة وخواص اللغات المكتسبة، ما نتعلّمه بهذه الطريقة يمكن أن يخبرنا الكثير جدا عن الحالة الأولية التي تتوسّط بينهما. علاوة على ذلك، هناك سبب قوي للاعتقاد بأنَّ تلك الحالة الأولية شائعة عند النوع: إذا ترعرع أطفالي في طوكيو، فإنهم سيتكلّمون اليابانية ذلك يعني أن الدليل حول اللغة اليابانية له علاقة مباشرة بالفرضيات المتعلّقة بالحالة الأولية للغة الإنجليزية. الحالة الأولية المشتركة يجب أن تكون غنية بما فيه الكفاية لتعطي لغة معينة، في وجود التجربة الملائمة. [١]

**ثالثا: ثنائية الكفاية والأداء (Performance– Competence):**

تمثل هذه الثنائية حجر الأساس في نظرية نعوم تشومسكي اللغوية، وهذه الثنائية معتمدة على الفطرية اللغوية التي يخالف تشومسكي في تصورها المدرسة البنيوية، وهذه الفرضية قادته إلى ثنائية الكفاية، والأداء وهو يقصد بالكفاءة اللغوية (Competence) قدرة المتكلم على إنتاج الكلام، فاللغة هي نظام مستنبط من قواعد لغوية ومعجم لغوي، يتيح للمتكلم أن ينقل المعاني إلى المتلقي عن طريق إنتاج عدد غير محدود من الجمل المعبرة؛ لأنَّ المتكلم عند نَعُّوم تشومسكي يمتلك طاقة إبداعية في مهارة الكلام. فهو يرى أنَّ" نظام قواعد لغة ما يعكس الذخيرة المحدودة الاعتباطية للمقولات الملحوظة إلى مجموعة يفترض فيها أن تكون غير محدودة من المقولات القواعدية، فنظام القواعد بهذا المفهوم يعكس سلوك المتكلم الذي يستطيع استنادًا إلى خبرة محدودة اعتباطية عن اللغة أن ينتج أو يفهم عددًا غير محدود من الجمل الجديدة."[٢] فالجملة يختلف تركيبها باختلاف تركيبها في نفس المتكلم، أمَّا الأداء اللغوي (Performance) فالمراد به خروج هذه القدرة من حيّز القوة إلى حيز الفعل،

(١) المرجع السابق.

(٢) البنى النحوية (١٩)

وبهذه الطريقة وضع حدًّا بين معرفة المتكلم السامع للغة ما (الكفاءة) عن الاستعمال الفعلي للغة في مواقف محددة (الأداء).[١] فالكفاءة اللغوية "معرفة المتكلم – المستمع بلغته". وأمَّا الأداء اللغوي فهو "الاستخدام الفعلي للغة في مواقف حقيقية"

وأداء المتكلم اللغوي يعتمد على القدرة اللغوية التي يتحلَّى بها العقل، وهذا يستلزم اختصاص المتكلم بأسلوب خاص به نابعٌ من استعماله للُّغة، والإبداعية بالنسبة لتشومسكي استعمال لا نهائي من وسائل محدودة، ويكون المتكلمون قادرين على ذلك.[٢] فاللغة هي لغة إبداعية تمكن المتكلم من إنتاج عدد غير محدود ولا متناهٍ من الجمل. فالقدرة العقلية هي الفاعلة في الإنجاز اللغوي، وهي السلطة القادرة على توليد الجمل الجديدة، وهنا تظهر معارضة نَعُّوم تشومسكي لعلمِ النَّفْس السلوكي في تفسيره لكيفية استخدام المتكلم للغة، وفي تركيزه للصورة السطحية للغة بينما ركَّز تشومسكي على الإبداعية العقلية، لذا أكثر نَعُّوم تشومكي من دراسة طبيعة اللغة وعلاقتها بالعقل، وانتهى إلى أن استعمالات المتكلم للغة تفصح عن مقدرة إبداعية لإنتاج وفهم عدد لا متناه من الجمل الجديدة. وهذه القدرة موجودة فى عقل كل متكلم وهي التي تتيح له ابتكار جمل جديدة لم يسبق إليها أحد من قبل. وهذا الرأي من تشومسكي مبنيٌّ على أنَّ الإنسان قد وُهب عدة ملكات محددة أطلق عليها اسم العقل، وهذا العقل أو تلك القدرات تقوم بدور حاسم في اكتسابنا للمعرفة، كما تمكنَّا من القيامِ بدور مستقل عن أي عامل خارجي في البيئة المحيطة بنا.[٣] فأداء المتكلم اللغوي الظاهري

(١) مناهج علم اللغة (٢٨٧)

(٢) ينظر مناهج علم اللغة (٢٨٨)

(٣) ينظر نظرية تشومسكي اللغوي (٢٣٥)

(البنية السطحية) يخفى تحته قدرات عقلية عميقة، وهذا يمهد للحديث عن البنية العميقة للكلام، والبنية السطحية، وهي الثنائية التالية.

**رابعا: ثنائية البنية العميقة (Deep Structure) والبنية السطحية (Surface Structure):**

في أوائل الستينيات صكَّ نَعُّوم تشومسكي هذه مصطلح البنية العميقة ويرمز لها اختصار بـ(D) ويقابلها مصطلح البنية السطحية، ويرمز لها بـ (S) في كتابه: البنى النحوية (Syntactic Structures) وتتشكل البنية العميقة عند تشومسكي في عقل المتكلم قبل أن يتكلم، فإنَّ المتكلم يسيطر عليه شعور ما، ثم يقترح المعجم العقلي له صورةً تركيبية غير مسموعة، ويأخذُ العقل في اصطفاء التراكيب المناسبة للسياق، عن طريق قواعد التحويل إلى البنية السطحية. والبنية العميقة للجملة عند تشومسكي ضرورية لإنتاج الكلام؛ لأنَّ قواعد التحويل إلى البنية السطحية لا يتم للمتكلم إذا لم يكن له بنية عميقة، ومدخلات قواعد التحويل لا تجرى إلا عليها. فالمعنى هو محور اهتمام تشومسكي، وهو أهم ركائز المدرسة التحويلية، وهناك شعور عام بأنَّ الدلالة هي ذلك الجانب العميق أو المهم من اللغة، وأنَّ دراسة هذا الجانب الدلالي بماله من صلة في فهم وإدراك الدلالة العميقة للغة هو الذي يضفي على الدراسة اللغوية هذا الطابع المثير والمميِّز لها.[1]

وفي كتابه (البنى النحوية) قدَّم نَعُّوم تشومسكي نموذجًا عدَّه دليلا لصحة فرضية نظريته اللغوية، بناءً على الجملة النَّواة الَّتِي يتعامل معها المتكلم عن طريق قدرته العقلية في استثمار القواعد التحويلية، حتى يصل بجملة النَّواة إلى الجملة التحويلية في صورتها النهائية، قال: "لقد وجدنا أمثلة من الجمل التي

(١) ينظر المرجع السابق (٢٠٠)

تفهم بأكثر من طريقة واحدة، ولها تمثيل مبهم على المستوى التحليلي (وليس على المستويات الأخرى) وأمثلة من الجمل التي تفهم بأسلوب مشابه، ولها تمثيل مشابه على المستوى التحليلي فقط.

وهذا مبرر مستقل ودافع لوصف اللغة طبقا للبنية التحويلية. فمن أجْلِ أن نفهم جملة ما من الضروري أن نعرف جمل النواة التي اشتقت منها هذه الجملة، وبعبارة أدق علينا أن نعرف خيوط الانتهاء التي تعتمد عليها جمل النواة هذه، وبنية العبارة لكل من هذه المكونات الأولية، وكذلك التاريخ التحويلي للجملة التي نحنُ بصددها، وتطورها عن جمل النواة هذه. وهكذا تصبح المسألة العامة لتحليل عملية الفهم في أحد معانيها مسألة شرح كيفية فهم جمل النواة التي تعتبر العناصر الأساسية للمحتوى، التي تشتق منها جمل أكثر تعقيدًا مألوفة في الحياة عن طريق التطور التحويلي."[١]

ويقول أيضًا: "إنَّ هدفنا هو تحديد النواة بطريقة نستطيع بها أن نشتق خيوط الانتهاء التي تعتمد عليها النواة، عن طريق استعمال بسيط لبنية العبارة، والتي تزودنا بأساس نستطيع أن نشتق منه جمع الجمل باستخدام تحويلات بسيطة، تحويلات إلزامية في حالة النواة، وتحويلات إلزامية واختيارية في حالة جملة غير النواة."[٢]

والجملة النَّوَاة هي محور مهم عند تشومسكي؛ لأنَّها تجسد المعنى العقلي الكامن في ذهن المتكلم، والوقوف على هذه الجملة يُعيَّنُ التفسير الدلالي، وعملية تحويل الجملة النواة إلى جملة سطحية يتم عن طريق عملية ذهنية يستخدم فيها المتكلم القواعد التحويلية في اللغة. والجملة النواة هي فكر المتكلم، أما الجملة السطحية فهي الجانب الفيزيائي للجملة التي أنتجها المتكلم.

---

(١) البنى النحوية (١٢٣)

(٢) المرجع السابق: (٨٣)

**شكل رقم**: (١)

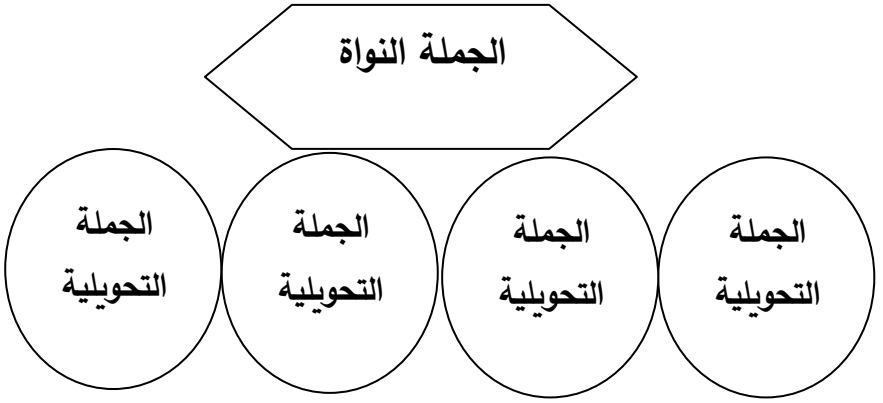


**فالجملة التحويلية تمثل البنية السطحية في صورتها المادية الملموسة وهي التي عناها بقوله:(**surface structure**) أمَّا البنية العميقة (** Deep structure**) فهي تمثِّل الجملة النواة التي تتميز بقابليتها للتحويل عن طريق قوانين التحويل حتَّى تصلَ في النهاية إلى الجملة المادية التي يتلقَّاها المخاطب.**

**شكل رقم** : (٢)

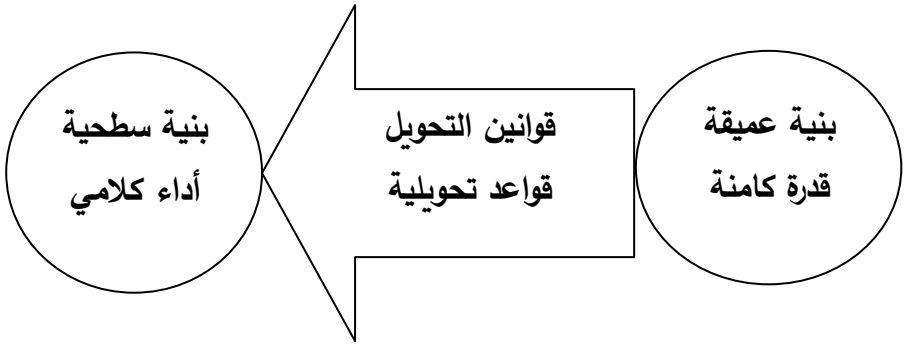


**وتتميز البنية السطحية بسهولة تحديدها ماديا؛ لأنهَّا إمَّا مسموعة وإمَّا مقروءة، فلها وسيط فيزيائي يتيح رصدها وتسجيلها، وتتميز بوضوح المعنى لأن غاية المتكلم الإبانة لذا فهو حريصٌ على بُعْد كلامه من التعقيدات التي تمنع تلقيه والتواصل معه، والبنية السطحية للكلام تكون ملتزمة بقواعد المتكلمين باللغة، أمَّا البنية العميقة فهي غير محددة المعالم، وليس لها وسيط فيزيائي**

يتيح رصدها وتسجيلها، وتختلف صورتها باختلاف العقل المتصور لها، وهي أعقد من البنية السطحية للكلام لاشتراك العديد من العوامل في صياغتها، لذا فهي أقدم في الزمن من البنية السطحية.

## خامساً: القواعد النحوية أو التحويلية:

القواعد التحويلية عند نَعُوم تشومسكي، وتسمى أيضًا القواعد النحوية المولِّدة للتحوَّل، وهي عبارة عن نظام يستخدمه المتكلم لتحليل اللغة يتعرف من خلاله على العلاقة بين العناصر المختلفة للجملة وبين الجمل المحتملة للغة، وهذا يمكنه من توليد جمل جديدة عن طريق إخضاع البنية العميقة لقواعد التحويل لإنتاج البنية السطحية للجملة التي يتلقاها المخاطب، ويقع عبء هذا التحويل على عاتق المتكلم.

والنحو عند نَعُوم تشومسكي هو "المبادئ والعلميات التي بها تبنى الجمل في اللغات المختلفة، وتهدف الدراسة النحوية للغة ما إلى بناء نظام للقواعد."[١] واللغةُ هي عددُ الجمل التي تتولَّد في هذه اللغة، يقول:

"تعريف اللغة التي يتم وصفها ودراستها بواسطة قواعد نحوية معينة، فنقول: إنَّها عبارة عن جميع الجمل التي تولدها هذه اللغة، وهذه الجمل إمَّا أن تكون جملا محدودة العدد أو غير محدودة."[٢]

والنحو عند تشومسكي "لا يتضمن القواعد النحوية لتركيب أركان الجملة فحسب، وإنما سنجد أنَّ النحو التحويلي كما تصوره تشومسكي أصلًا يتكون من القواعد التحويلية بالإضافة إلى مجموعة من القواعد النحوية لتركيب أركان

(١) البنى النحوية (١٣)

(٢) نظرية تشومسكي اللغوية (٩٤)

الجملة، وبناء على ذلك فإنَّ القواعد التحويلية تعتمد في المقام الأول على تطبيق قواعد تركيب أركان الجملة أولا." (١)

ويرى نَعُّوم تشومسكي في القواعد النحوية أنَّها جهازٌ قادرٌ على إنتاج عدد غير محدود من الجمل والتراكيب، وفي كتابه (البنى النحوية) تحدث نَعُّوم تشومسكي عن القواعد النحوية على أنَّها جهازٌ من نوع ما لإنتاج الجمل في اللغة التي نقوم بدراستها وتحليلها.(٢) وهذه القواعد هي سبيل المتكلم لإنتاج الكلام، ولا تعمل بمعزل من دونه "لأنَّ قواعد اللغة إنَّما هي قواعد محايدة بين الإنتاج والاستقبال.(٣)

وهذه القواعد التحويلية مشهورة في الغرب بـ: T.G.Gاختصارًا لقولهم:Transformational-generative grammar.

ومجموعة القواعد النحوية التي اعتمد عليها نعوم تشومسكي تتمثل في الآتي:

١- الجملة: مركب اسمي + مركب فعلي.
٢- المركب الفعلي: (فعل+مركب اسمي)
٣- المركب الاسمي: (مركب اسمي مفرد . أو مركب اسمي جمع)
٤- مركب اسمي مفرد: أداة تعريف + اسم.
٥- مركب اسمي جمع: أداة تعريف + اسم + علامة الجمع.
٦- أداة التعريف: (أل).
٧- الاسم: (رجل، كرة، باب، كتاب....)

---

(١) ينظر المرجع السابق (١٣٥)
(٢) ينظر نظرية تشومسكي اللغوية (٨٣)
(٣) المرجع السابق (٨٤)

٨- الفعل: فعل مساعد+ الفعل.

٩- الفعل: (ضرب، أخذ، حمل، أكل، فتح)

١٠- الفعل المساعد: Aux tense (+M) (+have+en) (+be+ing)

١١- زمن الفعل: مضارع . ماضٍ.

١٢- صيغ الفعل. [١]

"نموذج التحويل: والتحويلاتُ في هذا النموذج ليست علاقات متناسقة بين جمل جاهزة، بل هي قواعد تحول سلاسل إلى سلاسل أخرى، وإذا طبقت تحويلات إجبارية فقط، فإنَّها تنشئ جملا بسيطة جاهزة تسمى الجمل النواة. هذه جمل نحوية في اللغة، وإذا أجريت كذلك تحويلات اختيارية

إنَّها تنشئ جملا نحوية أيضا ذات فروق في البينة محددة بدقة مع الجمل النواة مثل: البناء للمجهول، والاستفهام، والنفي."[٢]

وانتهى نَعُّوم تشومسكي إلى أنَّ القواعد التوليدية ليست أنموذجًا (Model) للمتكلم أو السامع، وإنَّما هي تحاول أن تصف بأكثر الطرق حيادية المعرفة اللغوية التي تكون الأساس للاستخدام العقلي للغة من قِبَل المتكلم والسامع."[٣] والجملةُ عنده "ما تحتوي على سلسلة من الأدلة النظمية يجري توليد كل واحد منها من قِبل الأساس في المكوِّن النحوي."[٤]

---

(١) ينظر المرجع السابق (١٣٦) وممَّا لا يخفى أنَّ هذه القواعد مبنية على نظام اللغة الإنجليزية، التي تتطلب فعلا مساعدا، وأزمنة تختص بها.

(٢) مناهج علم اللغة ٢٧٤-٢٧٥

(٣) مظاهر النظرية النحوية (٣٠-٣١) إصدار عام ١٩٦٥م ترجم هذا الكتاب د/ مرتضى جواد باقر بعنوان: "جوانب من نظرية النحو" ، ونُشِرَ بجامعة البصرة عام ١٩٨٥م

(٤) المرجع السابق (٤٠).

وتبدأ هذه القواعدُ التحويلية من الجملة النَّواة التي تدخل عليها قواعد التحويل المختلفة: مثل: قاعدة الحذف، وقاعدة التعويض (إحلال عنصر محل عنصر)، وقاعدة التوسُّع، وقاعدة الاختصار، وقاعدة الزيادة، وقاعدة إعادة الترتيب، وظاهرة التقديم والتأخير أضافها نَعُّوم تشومسكي إلى قواعد التحويل في عام ١٩٩٥م حيث تحدث عن تحرك مكون لغوي من موقع إلى آخر.

وقد اهتمَّ نَعُّوم تشومسكي كثيرا بوقوف العقل على البنية العميقة؛ لأنَّ هذا يُمثِّل الجانب العقلي للمتكلم في إنتاج اللغة، وهذا ما خالف به من سبقه من البنيويين.

وأخذ تشومسكي من القواعد التحويلية دليلا على قدرة المتكلم على إنتاج عدد غير نهائي من الجمل، وأيضا فهمه لها، وعن طريق هذه القواعد التحويلية نستطيع معرفة كيفية تحكم المتكلم في الجمل ورصد تغيير التركيب وتحوله إلى تركيب آخر.

## المقام وإنتاج الكلام:

من المرتكزات التي ارتكز عليها نَعُّوم تشومسكي في إنتاج المتكلم للكلام المقام، وأنَّ المقام يفرض على المتكلم إنتاج جمل ما لكي يكون الكلام وافيا بحقِّ الإبانة، وأنَّ هذا السامع أحد روافد تشكيل المقام، وأنه قد يتطلب الحال الذي فيه السامع سَمتًا معينًا من الكلام، وقد ضرب مثالًا لهذا بمقام الشكِّ عند السامع. فإنَّ هذا الشكَّ يتطلَّب من المتكلم إتاحة قدر أكبر من المعلومات لكي يزيل شك السامع قال نَعُّوم تشومسكي: إذا أردنا أن نكمل هذا النموذج الأولي للاتصال اللغوي عيَّنا احتمالا لكل انتقال من حالة إلى أخرى. نستطيع إذ ذاك أن نحسب ((الشك)) بالنسبة لكل حالة كما نستطيع أن نحدد محتوى المعلومات للغة ما

على أنَّه معدَّل الشك إلى احتمال الورود في الحالات المعينة[١] وما يعنيه نَعُّوم تشومسكي هنا أنَّ مقام الشك يستلزم من المتكلم تعديل خطابه ليوازي الشك الذي لدَى السامع، وهذا الشك يفرض عليه إتاحة قدرٍ أكبر من المعلومات، وكلما زاد الشك زادت إتاحة المعلومات.

❁ ❁ ❁

(١) البنى النحوية (٢٧-٢٨)

# المبحث الثاني: الجذور التاريخية الجرجانية للنظرية التوليدية التحويلية

## المطلب الأول

## البنية العميقةُ عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني أصلٌ للبنية السطحية:

لحظ عبد القاهر الجرجاني أنَّ عمل المتكلم الإبداعي هو الذي يورث الكلام حسنًا، وأن أداء المتكلم الفعلي هو الذي يورث الكلام مدحًا أو ذمًا، وأنَّ الكلام يحمل أنفاس المتكلم، وترتيب المتكلم للمعاني نابعٌ من ترتيبها داخل نفسه، قال رحمه الله:

"لا يُتَصوَّر أنْ تَعرِفَ للفظ موضعًا من غيرِ أن تَعْرف معناه، ولا أنْ تَتوخَّى في الألفاظِ من حيثُ هي ألفاظٌ ترتيباً ونظماً، وأنَّك تَتوخَّى الترتيبَ في المعاني وتُعْمِل الفكْرَ هناك، فإذا تَمَّ لك ذلك أتْبَعْتَها الألفاظَ وقَفَوْتَ بها آثارَها، وأَنَّك إذا فرَغْتَ من ترتيبِ المعاني في نفسِك، لم تحتجْ إلى أن تستأنفَ فكْراً في ترتيبِ الألفاظِ، بل تَجدُها تَترتَّب لك بحُكْم أنها خَدَمٌ للمعاني، وتابعةٌ لها، ولاحِقةٌ بها، وأن العِلْم بمواقعِ المعاني في النَّفْس، علمٌ بمواقعِ الألفاظ الدالة عليها في النطق."[1]

فكلام عبد القاهر الجرجاني هنا يوضح أنَّ البنية العميقة أسبق في الوجود من البنية السطحية، وأن ترتيب المعاني في النفس يأتي في زمان يسبق ترتيب الألفاظ المسموعة. ويلح الشيخ عبد القاهر على أنَّ الكلام النفسي هو أصلٌ للكلام المتلقى، قال: "وإذا كانَ لا يكونُ في الكِلِم نَظْمٌ ولا ترتيبٌ إلاَّ بأنْ يُصْنَع بها

(١) دلائل الإعجاز (٥٣-٥٤)

هذا الصنيعُ ونحوَهُ، وكان ذلك كلُّه مما لا يَرْجِعُ منه إلى الفظ شيءٌ، ومِمَّا لا يُتَصوَّر أن يكونَ فيه ومِنْ صفتهِ، بَانَ بذلك أنَّ الأَمرَ على ما قلناه، من أنَّ اللفظ تبع للمعنى في النظْم، وأنَّ الكلمَ تَترتَّب في النُّطقِ بسببِ تَرتُّبِ معانيها في النَّفس، وأنها لَوْ خَلَتْ من مَعانيها حتى تَتجرَّد أصواتًا وأصداءَ حروفٍ، لما وقعَ في ضميرٍ ولا هَجَس في خاطرٍ، أن يَجب فيها ترتيبٌ ونَظْم، وأن يُجْعَل لها أمكنةٌ ومنازِلُ، وأنْ يجبَ النطقُ بهذه قَبْل النطقِ بتلك"[١]

من ذلك بيانه لأصل المعنى، وما يقتضيه المقام من تحول عن هذا الأصل انتهاء إلى التركيب الذي ظهر عليه الكلام، والتي تمثل المستوى البلاغي الأعلى، من ذلك تحليله لقوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم:٤] فقد تطرَّق إليها في أسرار البلاغة[٢] وتوسَّع في الحديث عنها في الدلائل في أكثر من موطن، وانتهى إلى أنَّ أصل المعنى اللغوي هو: "وشابَ رأسي كلُّه" و "ابيض رأسي كلُّه"[٣]

وقال الشيخُ أيضا:

"وجملةُ الأمْرِ أنَّا لا نُوجِبُ "الفصاحَة" لِلْفَظةٍ مقطوعةٍ مرفوعةٍ من الكلامِ الذي هي فيه، ولكنا نوجبها لفها موصولةً بغيرها، ومعلَّقاً معناها بمعنى ما يَليها. فإذا قلنا في لفظةِ "اشتعل" مِنْ قولِه تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم:٤]، إنها في أعلى رتبة من الفصاحة، لم توجب تلك "الفصاحةَ" لها وحَدْها، ولكِنْ موصولاً بها "الرأسُ" معرَّفاً بالألف واللام، ومَقْروناً إليهما "الشيبُ" منكَّراً منصوباً. [٤]

(١)دلائل الإعجاز (٥٥-٥٦)

(٢) أسرار البلاغة (٢٧٤)

(٣) دلائل الإعجاز (٤٢٧)

(٤) المرجع السابق (٤٠٢-٤٠٣)

وممَّا هو جديرٌ بالذكر أنَّ الشيخ عبد القاهر الجرجاني كان يطلق على ما يرادف البنية العميقة عند نَعُوم تشومسكي: أصل المعنى[١] أو جملة المعنى، أو محصول المعنى.[٢]

## الترتيب النفسي للكلام:

يرى الشيخ عبد القاهر الجرجاني أنَّ المتكلم يبنى الكلام في نفسه أولا على صورة ما، ثمَّ بعد ذلك يأخذ عقل المتكلم في العمل على هذه الصورة الأولى، وهذا العمل هو المراد من النظم، وأننا إذا فضضنا النظم عادت مفردات اللغة إلى موقعها المعجمي، وغاب الحسن الذي اكتسبته بنظم المتكلم، فظواهر الأسلوب كلها نتاج لنظم المتكلم وإعمال عقله، والكلام عند الشيخ عبد القاهر ليس له صورة واحدة، بل هو صورتان: الصورة الأولى هي كلامٌ نفسيٌّ يدور في عقل المتكلم، والصورة الأخيرة للكلم هي الكلام الظاهر الذي يسمعه السامع وفق ترتيبه داخل نفس المتكلم، والنفسي أسبق من المسموع فعملية الإبداع عند الشيخ عبد القاهر تتمُّ على مرحلتين:

المرحلة الأولى: هي المرحلة النفسية، وهي تدور في نفس المتكلم، حيث يصطفي من الكلمات والتراكيب ما يلائم المقام، يقول في الدلائل:

"اللفظ تبع للمعنى في النظْم، وأنَّ الكلمَ تَترتَّب في النُّطقِ بسببِ تَرتُّبِ معانيها في النَّفس، وأنها لَوْ خَلَتْ من مَعانيها حتى تَتجرَّد أصواتاً وأصداءَ حروفٍ، لما وقعَ في ضميرٍ ولا هَجَس في خاطرٍ، أن يَجب فيها ترتيبٌ ونَظْم، وأن يُجْعَل لها أمكنةٌ ومنازِلُ، وأنْ يجبَ النطقُ بهذه قَبْل النطقِ بتلك."[٣]

---

(١)دلائل الإعجاز (٢٦٦)

(٢) ينظر المرجع السابق (٢٨٦)

(٣)ينظر المرجع السابق ( ٥٥-٥٦)

المرحلة الثانية: هي مرحلة النطق، والتي توخى فيها المتكلم معاني النحو، قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني: "ومما ينبغي أنْ يَعْلَمهُ الإنسانُ ويجعلَه على ذكرٍ، أنه لا يُتصوَّرُ أنْ يتعلَّقَ الفكْرُ بمعاني الكَلِمِ أفراداً ومجرَّدةً من معاني النحو، فلا يقومُ في وهْمٍ ولا يصِحُّ في عقْلٍ، أنْ يتَفَكَّرَ مُتفكِّرٌ في معنى "فعلٍ" مِنْ غيرِ أن يُريدَ إعمالَه في "اسْمٍ"، ولا أن يتفكَّر في معنى "اسْم" من غَيْرِ أنْ يُريدَ إعمال "فعلٍ" فيه، وجَعْلَه فاعلاً له أو مفعولاً، أو يريدَ فيه حكْماً سوى ذلك من الأحكام، مثْلَ أن يُريدَ جَعْلَه مبتدأً، أو خبراً، أو صفةً أو حالاً، أو ما شَاكَلَ ذلك."(١)

ويُلِحُّ الشيخ عبد القاهر الجرجاني على هذا المعنى، فيقول في موضع آخر: "ومن البيِّنِ الجليّ أن التبايُنَ في هذه الفضيلة، والتباعد عنها إلى ما ينافيها من الرذيلة، ليس بمجرَّد اللفظ، كيف والألفاظ لا تُفيد حتى تُؤلَّف ضرباً خاصّاً من التأليف، ويُعْمَد بها إلى وجه دونِ وجهٍ من التركيب والترتيب، فلو أنك عَمَدت إلى بيت شعرٍ أو فَصْل نثرٍ فعددت كلماته عَدّاً كيف جاء واتَّفق، وأبطلت نضدَهُ ونظامه الذي عليه بني، وفيه أفرغ المعنى وأجري، وغيّرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد ما أفاد، وبنَسَقِه المخصوص أبان المراد، نحو أن تقول في: " من الطويل قِفا نَبْكِ من ذِكْرَى حَبيبٍ ومنزل " منزل قفا ذكرى من نبك حبيب، أخرجته من كمال البيان، إلى مجال الهَذَيان، نعم وأسقطت نسبتَهُ من صاحبه، وقطعت الرَّحِمِ بينه وبين مُنْشِئه، بل أحَلْت أن يكون له إضافةٌ إلى قائل، ونَسَبٌ يَخْتَصّ بمتكلم.

وفي ثبوت هذا الأصل ما تَعْلم به أنَّ المعنى الذي له كان هذه الكلم بيتَ شعرٍ أو فصلَ خطابٍ، هو ترتيبها على طريقة معلومة، وحصولها على صورة من التأليف مخصوصة، وهذا الحُكْمُ – أعني الاختصاص في الترتيب – يقع في الألفاظ مرتَّباً على المعاني المرتَّبَة في النفس، المنتظمةِ فيها على قضيّة العقل،

(١)دلائل الإعجاز (٤١٠)

ولا يُتّصوَّر في الألفاظ وُجُوبُ تقديم وتأخير، وتخصُّصٍ في ترتيب وتنزيل، وعلى ذلك وُضِعَت المراتبُ والمنازلُ في الجمل المركَّبة."[1] فغياب الترتيب النحوي، وفك التركيب يذهب صورة الحسن الأدبية التي نتجت عن صنيع المتكلم.

❁ ❁ ❁

(١) أسرار البلاغة (٤-٥) تحقيق الشيخ شاكر . دار المدني . ط أولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م

# المطلب الثاني

## ربط النحو بالعقل في فكر الشيخ عبد القاهر الجرجاني البلاغي:

بدأ الشيخ عبد القاهر الجرجاني بالتفرقة بين اللغة في نظامها العام، وبيَّن أنَّ كلام المتكلم هو الذي عليه طابعه، وبه أثر عقله، فالفضل في الكلام لا يكون باستخدام ألفاظ اللغة، ولا باستخدام التراكيب النحوية، ولكن لعقل المتكلم في استثمار معاني الكلمات المفردة، وفي صوغ علاقات نحوية، وإقامة روابط وصك تراكيب تناسب المقام، ولذا فقد استبعد الكلمات المفردة قبل الاستعمال من دائرة عمله، وإنَّما يهتم بالأحكام التي تكون بتأليف المتكلم وتركيبه لهذه الكلمات قال: "هذا ما ينبغي للعاقلِ أن يَجْعلَه على ذكر منه أبدًا، وأن يعلم أنه ليسَ لنا إذا نحنُ تَكلّمْنَا في البلاغةِ والفصاحةِ معَ معاني الكلِم المفردةِ شغلٌ، ولا هيَ منَّا بسبيل، وإنَّما نَعْمَد إلى الأحكام التي تَحْدُثُ بالتأليف والتركيب."[١] فالأصلُ الذي أصَّله الشيخُ عبد القاهر الجرجاني أنَّ دلالة الكلمات الوضعية قارة في اللغة، لا يعود لها فضل، ولا ترجع لها مزية، وأنَّ الحُسْنَ في كلام المتكلم عائدٌ لما ينشئه المتكلم ويحدثه في الكلام من علاقات وخصوصيات عن طريق النظم، والنظم عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني جوهر إعجاز القرآن الكريم.

ويرى أ.د: محمد أبو موسى أنَّ صنيع الشيخ عبد القاهر الجرجاني في النظم قد: "انتهى إلى أنَّ الإعجاز في تأليف الكلام وتركيبه، وأن هذا التأليف والتركيب ترى فيه ضم الكلمات بعضها إلى بعض في الكتاب العزيز يُنتج معاني لا تدخل في طاقة البشر، وأنَّ فضل الكلام على الكلام في الشعر وغيره راجعٌ إلى هذا الأصل الذي هو التأليف والتركيب، أو النظم كما قال، والكلامُ كله مشترك فيه،

(١) دلائل الإعجاز (٧٢) تحقيق الشيخ شاكر– دار المدني ط ثالثة: ١٤١٣هـ١٩٩٢م

ويفضل بعضه بعضا، وأنَّه لا يزال يرقى في هذا التأليف والتركيب والضمِّ والنظم حتَّى يقطع الأطماع ويقهر القوى والقُدَر."[١]

وتجدر الإشارة أن هذا الأصل الذي أصله الشيخ عبد القاهر الجرجاني من أنه لا مزية في أصوات الكلمات المفردة، وأنَّ دلالة الألفاظ المفردة على معانيها في المعاجم اللغوية لا تستوجب حسنًا، حتى تدخل في دائرة النظم، وهذا الترتيب المخصوص هو الذي يعطي للكلام حسنه، قال الشيخُ عبد القاهر الجرجاني:

"هل يُتَصوَّر أن يكونَ بين اللفظتين تَفاضُلٌ في الدَّلالة حتى تكونَ هذه أدلَّ على معناها الذي وُضعتْ له من صاحبتها على ما هيَ موسومةٌ به، حتى يقالَ إنَّ "رجلاً" أدلُّ على معناه مِنْ "فرسٍ" على ما سُمِّي به وحتى يتصوَّر في الاسمين يوضعان لشيءٍ واحد، أن يكونَ هذا أَحْسَنَ نَبأً عنه وأَبْيَن كَشْفاً عن صورتِه مِنَ الآخر، فيكونُ "الليثُ" مثلاً أدلَّ على السَّبُع المعلوم مِنَ "الأَسد" وحتى إنَّا لو أردنا الموازنةَ بينَ لغتينِ كالعربيةِ والفارسيةِ، ساغَ لنا أَن نَجْعل لفظةَ "رجلٍ" أَدلَّ على الآدميَّ الذكَر من نظيرهِ في الفارسية؟

وهَلْ يقع في وَهْم وإنْ جُهِد، أن تتفاضلَ الكلمتانِ المُفردتان، مِنْ غيرِ أن يُنظَر إلى مكانٍ تقعانِ فيه منَ التأليف والنظمِ، بأكثرَ من أن تكونَ هذهِ مألوفةً مستعملةً، وتلك غريبةً وحشية، أو أن تكونَ حروفُ هذهِ أَخَفَّ، وامتزاجُها أَحسنَ، ومما يَكُدُّ اللسانَ أَبْعَدَ؟ وهل تَجد أحداً يقولُ: "هذه اللفظةُ فصيحةٌ"، إلاَّ وهو يعتبرُ مكانَها منَ النظم، وحسنَ مُلائمةِ معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟[٢]

---

(١) المسكوت عنه من علم الباقلاني ، ص ٩٨٢- ٩٨٣ مجلة الأزهر . عدد جمادى الآخرة ١٤٣٩هـ فبراير ٢٠١٨م

(٢) دلائل الإعجاز (٤٤)

فالمعوَّل عند الشيخ هو النظم والترتيب، والإجادة هي اختيار المعنى النحوي الملائم للمقام، ووضعه في نسق خاص، قال: "ونحن إذا تأَمَّلْنا وجَدْنا الذي يكونُ في الألفاظِ من تقديمِ شيءٍ منها على شيءٍ، إنما يقَعُ في النفس أَنَه "نَسَقٌ"، إذا اعتبَرْنا ما تُوخِّي من معاني النَّحو في معانيها، فأمَّا مَع تَرْكِ اعتبارِ ذلك، فلا يَقَعُ ولا يُتصوَّرُ بحالٍ، أفلا تَرى أَنَّكَ لو فرَضْتَ في قولِهِ: قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرى حبيبٍ ومنزلِ

أنْ لا يكونَ "نَبْكِ" جواباً للأمْر، ولا يكونَ مُعدًّى "بِمنْ" إلى "ذِكْرى" ولا يكونَ "ذكرى" مضافةً إلى "حبيب"، ولا يكونَ "منزل" معطوفاً بالواو على "حبيب" لخَرَجَ ما تَرى فيه مِنَ التقديم والتأخيرِ عن أن يكونَ "نَسَقاً"؟ ذاك لأنَّه إنما يكونُ تقديمُ الشيءِ على الشيءِ نَسَقاً وتَرتيبًا."[١]

ومِمَّا استشهد به الشيخ عبد القاهر أن إبطال ترتيب النظم هو إفسادٌ للنص، قال:" ومما ينبغي أنْ يَعْلَمهُ الإنسانُ ويجعلَه على ذكرٍ، أنه لا يُتصوَّرُ أنْ يتعلَّقَ الفكْرُ بمعاني الكَلِم أفراداً ومجرَّدةً من معاني النحو، فلا يقومُ في وهْمٍ ولا يصِحُّ في عقْلٍ، أنْ يتَفَكَّرَ مُتفكِّرٌ في معنى "فعلٍ" مِنْ غيرِ أن يُريدَ إعمالَه في "اسْمٍ"، ولا أن يتفكَّر في معنى "اسْم" من غَيْرِ أنْ يُريدَ إعمال "فعلٍ" فيه، وجَعْلَه فاعلاً له أو مفعولاً، أو يريدَ فيه حكْماً سوى ذلك من الأحكام مثْلَ أن يُريدَ جَعْلَه مبتدأً، أو خبراً، أو صفةً أو حالاً، أو ما شَاكَلَ ذلك.

وإنْ أرْدْتَ أن تَرى ذلك عِياناً فاعْمَدْ إلى أيِّ كلامٍ شئْتَ، وأزِلْ أجزاءَهُ عن مواضِعها، وضْعاً يَمْتَنِعُ معه دخولُ شيءٍ من معاني النحو يها، فقل في:

(١) دلائل الإعجاز (٤١٠)

قِفَا نَبْك مِنْ ذِكرى حبيبٍ ومَنْزِلِ "مِنْ نَبْك قِفَا حبيبٍ ذكرى منزِلِ"، ثم انظرْ هل يتعلَّقُ منكَ فكْرٌ بمعنى كلمة منها؟[١]

وجوهر نظرية النظم قائم على أنَّ المقام هو الذي يلزم المتكلم اصطفاء تراكيب بعينها دون أخرى، وهذا لا يكون إلا بإعمال العقل والتروي والتفكر، يقول الشيخ عبدالقاهر الجرجاني:

" وأوْضحُ من هذا كلِّه، وهو أنَّ هذا "النظْمَ" الذي يتواصَفُه البلغاءُ، وتَتَفاضَلُ مراتِبُ البلاغةِ من أجلهِ، صَنْعةٌ يُستعانُ عليها بالفكرةِ لا مَحالة."[٢] فحركة العقل المتكلم هي التي تحدِّد التراكيب والعلاقات النحوية بين أجزاء هذه التراكيب في صورتها النهائية التي ستنقل للمتلقي، يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني:

"وجملةُ الأمرِ: أَنَّ "الخبرَ" وجميعَ الكلامِ، معانٍ ينشِئُها الإنسانُ في نفسهِ، ويُصرِّفها في فكره، ويناجي بها قلبه، ويراجع فيها عقلَه."[٣]

فالنظم تفكيرٌ، والتفكيرُ لا يكون في الألفاظ، وإنما في المعاني: ويظهر في:

- ترتيب المعاني.
- في علاقات الكلام الداخلية.
- في علاقات الكلام الخارجية.
- في الملائمة بين المعنى النحوي ومقصد المتكلم.
- في استعمال المتكلم لعقله.

---

(١) دلائل الإعجاز (٤١٠)

(٢) المرجع السابق(٥١)

(٣) المرجع السابق (٥٢٨)

– في التفرقة الظاهرة بين اللغة في نظامها العام، وبين كلام المتكلم الذي عليه طابعه، وبه أثر عقله، ودخلية نفسه، ومكنون فؤاده.

يقول أ.د: إبراهيم الخولي: "النظم إذًا عمليةٌ عقليَّةٌ في جوهره، عمليةٌ تنصبُّ على معاني الكلم، المفردة لتذيبها، وتعيد إفراغها في صورة كلية هي نتاج ما تحدثه في تلك المعاني، هو ترتيب المعاني.(١)

والنحو عند عبد القاهر الجرجاني عملية أكثر تعقيدًا، فهو غير مقصورٍ على تتبع الحركات الإعرابية في أواخر الكلمة، فلم يكن هذا من شغله، بل وعاب على مَن كان هذا همَّهُ.

وقد فرَّق عبد القاهر الجرجاني بين مستويين من مستويات التعامل النحوي، مستوى الصحة النحوية، فمستوى الصحة النحوية لا يكسب الكلام حسنًا وليست فيه مزيَّة. ولا يعود حسن الكلام إليه، ولا ينهض بالأمر، وإنما الشأن في توخي معاني النحو التي تناسب المقام، فالمعاني مغلقة، وأنَّ النحو هو الذي يقوم بفتح المعنى المغلق قال: "الألفاظ معلقة على مَعانيها حتى يكونَ الإعرابُ هو الذي يَفتحها، وأنَّ الأغراضَ كامنةٌ فيها حتى يكونَ هو المستخرِجَ لها."(٢)

وقال أيضًا: "واعلمْ أنه لا يصادِفُ القولَ في هذا البابِ موقعاً من السامِعِ، ولا يَجدُ لديه قَبولاً، حتى يكونَ من أهلِ الذوقِ والمعرفةِ، وحتى يكونَ ممن تُحدِّثهُ نفسُه بأنَّ لِمَا يُومئُ إليه من الحُسْن واللطْف أصْلاً، وحتى يختلفَ الحالُ عليه عندَ تأمُّلِ الكلامِ، فيجَدَ الأريحيَّة تارةً، ويعْرى منها أخرى، وحتى إذا عجَّبْتَه عَجِبَ، وإذا نَبَّهْتَه لَموضع المزيةِ انْتَبَه. فأما من كان الحالانِ والوجهانِ عنده أبداً على

(١) مقتضى الحال بين البلاغة القديمة والنقد الحديث (١٤٩) دار البصائر ـ الطبعة الأولى. ٢٠٠٧م

(٢) دلائل الإعجاز (٢٨)

سَواء، وكان لا يفقد من أمرِ "النظمِ" إلا الصحَّةَ المُطلقةَ، وإلاَّ إعراباً ظاهراً، فما أقَلَّ ما يُجدي الكلامُ معه.

فَلْيَكُنْ مَنْ هذه صِفتُهُ عندكَ بمنزلةِ مَنْ عَدِمَ الإحساسَ بوزنِ الشِّعر، والذوقِ الذي يُقيمه به، والطَّبعَ الذي يُميِّزُ صحيحَه من مكسورِه، ومزاحِفه من سالِمِه، وما خرجَ مِن البحرِ ممَا لم يَخْرُجُ منهُ في أنك لا تتصدَّى له، ولا تتكلَّفُ تعريفَه، لِعلْمِكَ أنَّه قد عدمَ الأداةَ التي معها يَعرفُ، والحاسَّةَ التي بها يَجدُ. فليكُنْ قَدْحُكَ في زنَدٍ وارٍ، والحكُّ في عُودٍ أنت تطمعُ منه في نار."[1]

يقول أ.د: إبراهيم الخولي:" هذا نموذج لِمَا يعنيه الشيخ بالنحو، الذي يجعل توخي معانيه جوهر النظم وصميمه، وفحواه! إنه النحو الذي تحصل به الفروق بين المعاني وتنشأ عنه الاختلافات في صور الكلام، وتتمايز به الأساليب وتتحدد به مقاصد المتكلمين. النحو الذي يصلح أداة نعرف بها متى تتفق الأساليب؟ ومتى تختلف؟ وبأي شيء يكون الاختلاف، وفي أيِّ شيء يكون الاتفاق؟"[2]

أمَّا المستوى الذي عليه المعوَّل، وبه يكتسب الكلام حسنه، فهو إعمال العقل في النحو، فالنظم إعمالٌ العقل في استثمار معاني النحو بغية ملائمتها للمقام"

ومن الملاحظ أنَّ اهتمام عبد القاهر كان منوطا ـ منذ البداية بالتركيب العقلي بوصفه أصل الأداء، ثمَّ يأتي الرمز اللغوي في مرحلة تالية. [3]

---

(١) دلائل الإعجاز (٢٩١)

(٢) مكان النحو من نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني (٧١-٧٢) دار البصائر- ١٤٢٨-٢٠٠٨م

(٣) النحو بين عبد القاهر وتشومسكي (٢٩) مجلة فصول – عدد أكتوبر ديسمبر ١٩٨٤م

فالكلام يحمل صفة المتكلم، أنفاسه وأفكاره ومزاجه وغرضه، ثقافته علومه، خوفه ورجاءه، كيف يستخدم اللغة لإنتاج الكلام الخاص به، كيف تحسنُ الكلمة من متكلم، وتستقبح من متكلم آخر، يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني:

"وهَلْ يقع في وَهْم وإنْ جُهِد، أن تتفاضلَ الكلمتانِ المُفردتان، مِنْ غيرِ أن يُنظَر إلى مكانٍ تقعانِ فيه منَ التأليف والنظمِ، بأكثر من أن تكونَ هذهِ مألوفةً مستعملةً، وتلك غريبةً وحشية، أو أنْ تكونَ حروفُ هذهِ أَخَفَّ، وامتزاجُها أَحسنَ، ومما يَكُدُّ اللسانَ أَبْعَدَ؟ وهل تَجد أحدًا يقولُ: "هذه اللفظةُ فصيحةٌ"، إلاَّ وهو يعتبرُ مكانَها منَ النظم، وحسنَ مُلائمةِ معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟!"(١)

## أثر النظم في الصورة البيانية عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني:

النظم عند الشيخ عبد القاهر يتغلغل في الجملة العربية، وهو معيار الحسن في الكلام عند الشيخ عبد القاهر، ولا يقف عند حدود تراكيب الجملة فحسب، بل يتغلغل ويشكِّل الصورة البيانية، وعن طريق علم النحو فرَّق الشيخ عبد القاهر بين الصور البيانية المتشابهة، فالتجريد عن الشيخ صورة تشبيهية وليس صورة استعارية، قال:

"تقولُ: "زيدٌ أسَدٌ، وزيدٌ هو الأسدُ" أو تجيءُ بِه على وجهٍ يَرجعُ إلى هذا كقولك: "إنْ لقيتَه لقيتَ به أسداً، وإنْ لقيتَه لَيَلْقيَنَّكَ منهُ الأسدُ" فأنتَ من هذا كلِّه تَعملُ في إثبات كونهِ "أَسداً" أو "الأسدُ"، فأنتَ في هذا كلِّه تَعملُ في إثبات كونهِ "أَسداً" أو "الأَسَدَ"، وتَضعُ كلامَك له. وأمَّا في الأول فتُخرِجُه مَخرجَ ما لا يَحْتاجُ فيه إلى إثبات وتقرير. والقياسُ يقتضي أنْ يُقال في هذا الضربِ أَعْني ما أنتَ

(١) دلائل الإعجاز (٤٤)

تَعْملُ في إثباتِه وتَزْجِيتهِ: أنَّه تَشبيهٌ على حدَّ المُبالغة، ويقتصرُ على هذا القدرِ، ولا يُسمَّى "استعارة".[١]

فدخول أداة التجريد (في) أو (من) تجعل الصورة تشبيهية، وتمنع كونها استعارية.

وتفرقة الشيخ بين التشبيه البليغ (المحذوف الوجه والأداة) والاستعارة قائم على ما يقتضيه النظم، قال:

اعلم أنّ الوجهَ الذي يقتضيه القياس، وعليه يدلّ كلام القاضي في الوساطة، أن لا تُطْلَق الاستعارة على نحو قولنا زيد أسَدٌ وهند بدرٌ، ولكن تقول: هو تشبيه، وإذا قال هو أسدٌ، لم تقُلْ استعار له اسم الأسد، ولكن تقول شَبَّهه بالأسد، وتقول في الأول إنه استعارة لا تتوقف فيه ولا تتحاشى البتّةَ، وإن قلت في القسم الأول: إنه تشبيه كنتَ مصيباً، من حيث تُخبر عمّا في نفس المتكلم وعن أصل الغرض، وإن أردت تمام البيان قلت أراد أن يشبّه المرأةَ بالظبية فاستعار لها اسمها مبالغةً. فإن قلت فكذلك فقل في قولك زيد أسد، إنه أراد تشبيهه بالأسد، فأجرَى اسمه عليه، ألا ترى أنك ذكرته بلفظ التَّنكير فقلت زيد أسد، كما تقول زيد واحد من الأسود."[٢]

والخطأ في التقدير الإعرابي يفضي حتمًا إلى فساد الصورة البيانية، وروعة الصورة البيانية مبنية على حسن التقدير الإعرابي، قال

"وفساد هذا وشبهه من الظنِّ، وإنْ كان معلوماً ظاهراً، فإنَّ ههنا استدلالًا لطيفًا تكثر بسببه الفائدة. وهو أن يُتصَوَّر أنْ يعمَدَ عامِدٌ إلى نظْم كلامٍ بعينهِ

(١)دلائل الإعجاز (٦٨)

(٢) أسرار البلاغة (٣٢١-٣٢٢)

فيُزيلَه عنِ الصورةِ التي أرادَها الناظمُ له ويُفْسِدَها عليه، من غير أَن يُحَوِّلَ منه لفظاً عن موضِعه، أَو يُبَدِّلَه بغيره، أو يُغيِّر شيئاً من ظاهر أمرِهِ على حالٍ.

مثالُ ذلك: أَنَّكَ إِنْ قدَّرْتَ في بيت أبي تمام:

**لُعَابُ الأَفَاعِي القَاتِلات لعَابُهُ ... وَأَرْيُ الجَنَى اشتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ**(١)

أَنَّ "لعابَ الأفاعي" مبتدأٌ و "لعابُه" خبرٌ، كما يُوهِمُه الظاهر، أفسدْتَ عليه كلامَه، وأبطلْتَ الصورةَ التي أرادها فيه. وذلك أَنَّ الغرضَ أَنْ يُشَبِّه مداد قلمِهِ بلعاب الأفاعي، على معنى أنه إذا كتب في إقامة السياسات أتلف به النفوس، وكذلك الغرضَ أَنْ يُشَبِّه مِدادَهُ بأَرْي الجنَي، على معنى أنه إذا كتَبَ في العطايا والصِلاتِ أوصَلَ به إلى النفوس ما تَحْلو مذاقَتُه عندها، وأَدْخَل السرورَ واللذةَ عليها. وهذا المعنى إنما يكونُ إذا كان "لعابُه" مبتدأ، و "لعاب الأفاعي" خبرًا، فأما تقديرك أنت يكون "لعاب الأفاعي" مبتدأ، و "لعابُه"، خبراً فيُبْطِل ذلك ويَمْنَع منه البتَّةَ، ويَخْرجُ بالكلام إلى ما لا يجوزُ أن يكونَ مُراداً في مثل غَرَض أبي تمام، وهو أَنْ يكون أرادَ أَنْ يُشَبِّه "لعابَ الأفاعي" بالمِداد، ويشبِّه كذلك "الأَرْيَ" به.

فلو كان حالُ الكلم في ضمِّ بعضِها إلى بعضٍ كحالِ غَزْل الإبرَيْسَم، لكانَ ينْبغي أن لا تتغيَّر الصورةُ الحاصلةُ من نَظْمِ كَلِمٍ، حتى تُزال عن مواضِعها، كما لا تتغيرُ الصورةُ الحادِثةُ عن ضَمِّ غزلِ الإبريسم بعضه إلى بعض، حتى نزال الخيوط مواضِعها. (٢) فأبو تمام هنا يمدح محمد بن عبد الملك الزيات، ويصف أثر قلمه في الأعداء في شطر البيت الأول، وفي الشطر الثاني يصف مدى كرم الممدوح وصلته لأصدقائه، والمبتدأ في الشطر الأول تساوى مع الخبر، والبلاغة

---

(١) من قصيدة مطلعها: متى أنتَ عنْ ذُهليةِ الحيّ ذاهلُ*** وَقَلْبُكَ مِنها مُدَّةَ الدَّهْرِ آهِلُ!
شرح الصولي لديوان أبي تمام (٣٣٣/٢) دراسة وتحقيق د: خلف رشيد النعمان . وزارة الثقافة والفنون –الجمهورية العراقية. ١٩٧٨م.

(٢) دلائل الإعجاز (٣٧١)

تتنزل بتقدير المؤخر في ترتيب الكلام هو المقدَّم في الرتبة، أي أنه المبتدأ، والمعنى لا يستقيم إلا بتقدير المبتدأ مؤخرا.

ومن الأمثلة التي ساقها الشيخ مدللا على صحة ما ذهب إليه، صورة الناقة التي فقدت بوَّها في بيت الخنساء في رثاء أخيها، قال رحمه الله: وممَّا طريقُ المَجاز فيه الحكْمُ، قولُ الخنساء:

**تَرْتَعُ ما رتعَتْ، حَتّى إذا ادَّكَرَتْ ... فإنَّما هيَ إقْبالٌ وإدبارُ**[1]

وذاك أنها لم تُرِدْ بالإقبال والإدبارِ غيرَ معناهُما، فتكونَ قد تجوَّزت في نفسِ الكلمةِ، وإنما تجوَّزَتْ في أَنْ جعلَتْها لكثرةِ ما تُقبِلُ وتُدْبِرُ، ولِغَلَبة ذاكَ عليها واتصاله منها٥، وإنه لم يكن لها حال غيرها، كأنها قد تجسمت من الإقبال

والإدبارِ. وإنما كان يكونُ المجازُ في نفْس الكلمةِ، لو أنها كانت قد استعارتِ "الإقبالَ والإدبارَ" لمعنىً غيرِ معناهُما الذي وُضعا له في اللغة. ومعلومٌ أنْ ليس الاستعارةُ مما أرادته في شيء.

..وإنْ كنَّا نراهُم يذكرونَه حيثُ يذكرون حذف المضاف٣، ويقولون:

إنه في تقدير: "فإنما هي ذاتُ إقبالٍ وإدبارٍ"، ذاكَ لأنَّ المضافَ المحذوفَ مِن نحوِ الآية والبيتينِ، في سبيل ما يُحْذفُ من اللفظِ ويُرادُ في المعنى، كمثل أن يُحْذَفَ خبر المبتدإ والمبتدأ، إذا دَلَّ الدليلُ عليه إلى سائرِ ما إذا حُذِفَ كان في حكْم المنطوق به. وليس الأمرُ كذلك في بيتِ الخنساء، لأنَّا إذا جعلْنا المعنى فيه

---

(١) من قصيدتها التي مطلعها: قَذًى بِعينكِ أَمْ بالعينِ عوَّارُ***أَمْ ذرَّفتْ إِذْ خَلتْ منْ أَهلهَا الدَّارُ، وقبله قولها: فَما عَجُولٌ على بَوٍّ تُطيفُ بِهِ*** لها حَنينانِ: إعْلانٌ وإسْرارُ. ويليه قولها: لاَ تسمنُ الدَّهرَ في ارضٍ وَانْ رتعتْ***فانَّما هيَ تحنانٌ وَتسجارُ. ديوان الخنساء (٣٠٢-٣٠٣) دراسة وتحقيق:د/إبراهيم عوضين . مطبعة السعادة – الطبعة الأولى ١٩٨٣م

الآن كالمعنى إذا نحنُ قلنا: "فإنما هي ذاتُ إقبالٍ وإدبارٍ"، أفسَدْنا الشِّعرَ على أنفسِنا وخرَجْنا إلى شيءٍ معسول، وإلى كلامٍ عامّيٍّ مرذولٍ."(١)

والصورة البيانية من مقتضيات النظم عند الشيخ عنها يحدث، وبها يكون، وقد ذكر صراحة أنَّ "الاستعارة"، و"الكناية" و"التمثيل" من مقتضيات النظم، قال: "إنْ قيل: قولُكَ "إلاَّ النظم"، يقتضي إخراجَ ما في القرآنِ مِن الاستعارةِ وضروبِ المجازِ من جملةِ ما هوَ به مُعْجِزٌ؛ وذلك ما لا مَساغَ لـه؟ قيلَ: ليس الأمرُ كما ظننْتَ؛ بل ذلك يقتضي دُخولَ الاستعارةِ ونَظائرِها فيما هو بهِ مُعْجزٌ؛ وذلك لأنَّ هذه المعاني التي هي "الاستعارة"، و"الكناية" و"التمثيل"، وسائرُ ضُروبِ "المجاز" مِن بَعْدِها من مُقْتَضياتِ "النظم"، وعنه يحدث وبه يكونُ؛ لأنه لا يُتصوَّر أن يَدخُلَ شيءٌ منها في الكَلِم وهي أفرادٌ لم يُتَوخَّ فيما بينَها حكْمٌ من أحكام النحو؛ فلا يُتَصَّورُ أن يكونَ ههنا "فعلٌ" أو "اسمٌ" قد دَخلَتْهُ الاستعارةُ، مِن دونِ أنْ يكونَ قد أُلِّفَ مع غيره؛ أفلا تَرى أَنه إنْ قدَّر في "اشتعلَ" من قوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم:٤]، أنْ لا يكونَ "الرأسُ"، فاعلاً له، ويكونَ "شيبًا" منصوباً عنه عَلَى التمييز، لم يُتصوَّرْ أن يكونَ مستعارًا؟ وهكذا السبيلُ في نظائرِ "الاستعارةِ"، فاعرفْ ذلك." (٢)

فنظم الكلام في آية مريم تعود فضيلة الاستعارة إليه، فإسناد الاشتعال إلى الرأس، أفاد معنى لم يفدْهُ إسناده إلى الشيب، وأنَّ الفخامة في الاستعارة مبنيةٌ على النَّظم، قال:"من دقيقِ ذلك وخَفِيّه، أنكَ ترى الناسَ إذا ذَكَروا قولَه تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]، لم يَزيدوا فيه على ذِكْرِ الاستعارةِ، ولم ينسبوا الشرف لا إليها، ولم يَرَوا لِلمزيَّة مُوجِباً سِواها، هكذا ترى الأمر في ظاهر كلامِهِمْ. وليس الأَمرُ على ذلك، ولا هذا الشَّرفُ العظيمُ، ولا هذه المزيةُ الجليلةُ،

(١) ينظر دلائل الإعجاز (٣٠١-٣٠٢)

(٢) المرجع السابق (٣٩٣)

وهذه الرَّوعةُ التي تدخلُ على النُّفوس عند هذا الكلامِ لمجرَّدِ الاستعارة، ولكن لأنْ سُلِك بالكلام طريقُ ما يسندُ الفعْلُ فيه إلى الشيءِ، وهو لِما هو من سَبَبِهِ، فيُرفعُ به ما يُسند إليه، ويُؤتى بالذي الفعلُ له في المعنى منصوباً بَعده، مبيناً أنَّ ذلك الإسنادَ وتلك النسبةَ إلى ذلك الأولِ، إنَّما كانا من أجلِ هذا الثاني، ولما بينَه وبينَه منَ الاتِّصالِ والملابسةِ، كقولهم: "طابَ زيدٌ نفساً"، و "قر عمرو عينًا"، و "تصبب عرقًا"، و "كرم أصلًا"، و "حسن وجْهاً" وأشباهِ ذلك مما تَجِد الفعلَ فيه منقولاً عن الشيء إلى ما ذلك الشيءُ من سببهِ. وذلك أَنَّا نَعلم أَنَّ "اشتعل" للشيبِ في المعنى، وإنْ كانَ هو للرأسِ في اللفظ، كما أنَّ "طاب" للنفس، و "قر" للعين، و "تصبب" للعرق، وإن أُسِند إلى ما أُسنِد إليه. يُبَيّنُ أنَّ الشرَفَ كان لأَن سُلِكَ فيه هَذا المسلكُ، وتُوُخِّيَ به هذا المذهبُ ... فإن قلْتَ: فما السببُ في أَنْ كان "اشتعلَ" إذا استُعيرَ للشَّيْب على هَذا الوجهِ، كان لهُ الفضْلُ؟ ولمَ بانَ بالمزيَّةِ منَ الوَجهِ الآخرِ هذه البَيْنُونَة؟ فإنَّ السببَ أَنَّه يُفيدُ، معَ لمَعانِ الشيبِ في الرأسِ الذي هو أَصْلُ المعنى، الشُّمولَ، وأَنَّه قد شاعَ فيه، وأَخذَه من نواحيهِ، وأنه قد استغرقه وعمَّ جُمْلَتَه، حتى لم يَبْقَ من السَّوادِ شيءٌ، أوْ لم يبْقَ منه إلاَّ ما لا يُعْتَدُّ به. وهذا ما لا يكونُ إذا قيلَ: "اشتعلَ شَيبُ الرأسِ، أو الشيبُ في الرأس"، بل لا يُوجِبُ اللفظُ حينئذٍ أكثرَ مِنْ ظهورِهِ فيه على الجُملة. وَوِزانُ هذا أنك تقولُ: "اشتعلَ البيْتُ ناراً"، فيكونُ المعنى: أنَّ النارَ قد وقَعَتْ فيه وُقوع الشُّمولِ، وأنَّها قد استولَتْ عليه وأخذَتْ في طرفَيْه ووَسَطِه. وتقولُ: "اشتعلتِ النارُ في البيت"، فلا يُفيد ذلك، بل لا يُقْتضَى أكثرُ من وقوعِها فيه، وإصابتها جانباً منه. فأمَّا الشُّمول. وأنْ تكونَ قد استولتَ على البيت وابتزته، فلا يعقل من اللفظ البتة. (١)

وهذا الاحتفاء بالنظم عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني مردّه أن النظم عند الشيخ صنعة يُستعانُ بها على التفرقة بين المصطلحات، ويتمكن بها من التمييز

(١) دلائل الإعجاز (١٠٠-١٠١)

بين حدود الكلام، وبيان مراتبه، وبه يُعلم أمر المعاني وأجناسها، وأنواعها، وكيفية استخراج الخبيء المكنون من المعاني، وأنماط التصوير وفنون تحبير القول.

# المطلب الثالث

## من قواعد التحويل من البنية العميقة إلى البنية السطحية عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني:

### أولًا التقديم عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني:

التقديم يعنى بتعديل رتب الألفاظ في الكلام، فالجملة العربية لها نظامها المخصوص في الرتبة والترتيب، والعدول عن هذا النظام يحدث التقديم الذي ينتج جملا جديدة، ويتيح لقدرة المتكلم العقلية على توليد العديد من الجمل، وأن يركز على المعنى الذي يريد نقله للمتلقي، ويُعَدُّ النظر إلى ملائمة الكلمة إلى موقعها ومعرفة مواقع الكلمات وخواصها من أدق مباحث نظرية النظم. وترتيب الكلمات من قواعد التحويل عند نَعُّوم تشومسكي، يقول أ.د: عبد الحكيم راضي: "إنَّ مبحث التقديم والتأخير يعالج صورا من التحول عما تعتد به البنية الأصلية للغة مما عرف باسم (الرتبة) ويقصد به ترتيب المواقع بين الأجزاء داخل الجملة."[1]

والتقديم عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني من أهم أبواب اللغة العربية، ل قال:

"هو بابٌ كثيرُ الفوائد، جَمُّ المَحاسن، واسعُ التصرُّف، بعيدُ الغاية، لا يَزالُ يَفْتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفْضي بكَ إلى لَطيفة، ولا تَزال تَرى شِعراً يروقُك مسْمَعُه، ويَلْطُف لديك موقعُه، ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أَنْ راقكَ ولطفَ عندك، أن قُدِّم فيه شيءٌ، وحُوِّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان."[2]

---

(١) البحث البلاغي عند العرب من وجهة نظر تحويلية (١٤٢) مجلة معهد اللغة العربية . جامعة أم القرى . العدد الثاني: ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

(٢) دلائل الإعجاز (١٠٦)

وقد تعرَّض الشيخُ عبد القاهر الجرجاني لبيان الفرق بين تقديم أحد أجزاء الكلام أو تأخيره، وأنَّ المعنى في التقديم يختلف عن المعنى في التأخير. وأنَّ فروق المعنى تختلف باختلاف التقديم والتأخير، قال: "واعلمْ أَنَّ تقديمَ الشيء على وجهينِ: تقديمٌ يُقال: إنَّه على نيَّةِ التأخير، وذلك في كلِّ شيءٍ أَقرَرْتَه معَ التقديمِ على حُكْمِه الذي كان عليه، وفي جنسهِ الذي كانَ فيه، كخبرِ المبتدأ إذا قدَّمْتَه على المبتدأ، والمفعولِ إذا قدَّمتَه على الفاعل كقولك: "منطلق زيد" و "ضَرَبَ عمرًا زيد"، معلوم أنَّ "منطلق" و"عمرًا" لم يَخْرجا بالتقديم عمَّا كانا عليه، من كونِ هذا خبرَ مبتدأ ومرفوعاً بذلك، وكونَ ذلك مفعولاً ومنْصوباً من أجله كما يكونُ إذا أَخَّرْتَ.

وتقديمٌ لا على نيَّةِ التأخيرِ، ولكنْ على أنْ تَنقُلَ الشيءَ عن حُكْمٍ إلى حكمٍ، وتجعلَ له بابا غيرَ بابهِ، وإعراباً غيرَ إعرابهِ، وذلك أَن تجيءَ إلى اسمين يُحتملُ كلُّ واحدٍ منهما أَنْ يكونَ مبتدأً ويكونُ الآخرُ خبراً له، فتُقَدِّمُ تارةً هذا على ذاك، وأخرى ذاكَ على هذا. ومثالُه ما تَصْنعه بزيدٍ والمنطلقِ، حيث تقولُ مرة: "زيدٌ المنطلقُ"، وأُخرى، "المنطلقُ زيدٌ"، فأنتَ في هذا لم تُقدِّمْ "المنطلقَ" على أن يكونَ مَتروكاً على حُكْمه الذي كان عليه معَ التأخير، فيكونَ خبرَ مبتدأ كما كانَ، بل على أَنْ تَنْقلَه عن كَونه خبراً إلى كونهِ مبتدأً، وكذلك لم تؤخِّر "زيداً" على أن يكون مُبتدأ كما كان، بل على أن تُخرجَه عن كونِه مبتدأً إلى كونِه خبراً.

وأَظهرُ من هذا قولُنا: "ضَربتُ زيداً" و "زيد ضربتُه"، لم تُقدِّم "زيداً" على أن يكون مفعولاً منصوباً بالفعل كما كان، ولكن على أن تَرْفَعه بالابتداءِ، وتشغلَ الفعلَ بضميرِه، وتجعلَه في موضع الخبر له. وإذا قد عرفتَ هذا التقسيمَ، فإني أُتبعه بجملةٍ من الشرح." [١]

(١) دلائل الإعجاز (١٠٦-١٠٧)

فعبد القاهر الجرجاني هنا يرى في التقديم شيئا لم يقف عليه علماء النحو قبله، وأن محور دراستهم تدور حول العناية والاهتمام دون العناية بالفروق المتولدة من التقديم والتأخير، قال: "واعلمْ أَنَّا لم نَجدْهُم اعْتَمدوا فيه شيئاً يَجري مَجرى الأَصْل، غيرَ العنايةِ والاهتمامِ. قال صاحبُ الكتاب، وهو يَذكُر الفاعلَ والمفعولَ: "كأنَّهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أَعْنى، وإن كانا جميعاً يُهمَّانِهم ويَعْنيانِهم"[1] ولم يَذْكر في ذلك مثالاً.

وقال النحويون: إنَّ معنى ذلك أَنه قد يكونُ من أغراضُ الناس في فعلٍ ما أنْ يَقَع بإنسانٍ بعينهِ، ولا يُبالون مَنْ أَوْقَعَه، كَمِثل ما يُعلمُ مِنْ حالِهم في حالِ الخارجيَّ يَخْرُج فيعيثُ ويُفْسِد، ويَكْثُرُ به الأذى، أَنهم يُريدون قتله، ولا يُبالون مَنْ كانَ القتلُ منه، ولا يَعْنيهم منه شيءٌ. فإذا قُتل، وأرادَ مُريدٌ الإخبارَ بذلك، فإنه يُقدَّم ذكرَ الخارجيَّ فيقول: "قَتَلَ الخارجيَّ زيدٌ"، ولا يقولْ: "قتلَ زيدٌ الخارجيَّ"، لأنه يعلم أنْ ليس للناسِ في أنْ يعلموا أنَّ القاتلَ له "زيدٌ" جَدْوى وفائدةٌ، فيَعْنيهم ذكْرُه ويهمُّهُمْ ويتَّصلُ بمسَرَّتِهم ويَعْلم مِن حالِهم أَنَّ الذي هم متوقِّعون له ومُتَطلّعون إليه متى يكونُ، وقوعُ القتلِ بِالخارجي المُفْسِد، وأَنهم قد كفُّوا شرَّه وتخلَّصوا منه.

ثم قالوا: فإن كان رجلٌ ليس له بأسٌ ولا يقَدَّرُ فيه أنه يَقتُلُ، فقَتلَ رجلاً، وأراد المخبر أن يخبر بذلك، فإن يُقدِّم ذكرَ القاتلِ فيقول: "قتلَ زيدٌ رجلاً"، ذاك لأَنَّ الذي يَعْنيه ويَعْني الناسَ مِن شأنِ هذا القتلِ، طرافَتُه وموضعُ النذْرةِ فيه، وبُعدُه كان منَ الظنِّ. ومعلومٌ أَنه لم يكنْ نادراً وبعيداً من حيثُ كان واقعاً بالذي وَقَع به، ولكنْ من حيثُ كان واقعاً مِنَ الذي وقعَ منه.فهذا جيّد بالغٌ، إلاّ أن الشأنَ في أَنه

(١) الكتاب (٣٤/١) تحقيق: عبد السلام محمد هارون– مكتبة الخانجي، القاهرة –الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

يَنبغي أن يُعرَفَ في كلَّ شيءٍ قُدِّمَ في موضعٍ من الكلامِ مثلُ هذا المعنى، ويُفسَّر وجهُ العنايةِ فيه هذا التفسير.. (١)

فعبد القاهر لا يقنع بمقولة (أنَّ التقديم كان من أجل العناية) يعالج المعاني المتولدة من تقديم أحد أجزاء الجملة على الآخر أو تأخيره، وأنَّ جملة: (زيدٌ المنطلق) لا تقال عوضا عن جملة: (المنطلق زيد) واستثمر الشيخ عبد القاهر الجرجاني هذه الفروق في المعنى في درس الاستفهام، فتقديم الفعل بعد أداة الاستفهام، لا يكون مثل تقديم الاسم بعد أداة الاستفهام، وأكثر الشيخ عبد القاهر من الشواهد والشرح لهذه القاعدة، قال:

"ومِنْ أَبْيَن شيءٍ في ذلك "الاستفهامُ بالهمزةِ"، فإنَّ موضعَ الكلام على أَنك إذا قلتَ: "أَفَعلْتَ؟ "، فبدأتَ بالفعل، كان الشكُّ في الفِعل نَفْسِه، وكان غَرضُكَ مِن استفهامِك أنْ تَعْلم وُجودَه.

وإذا قلتَ: "أأَنْتَ فعلتَ؟، فبدأْتَ بالاسمِ، كان الشكُّ في الفاعِل مَنْ هوَ؟ وكان التردُّدُ فيه. ومثالُ ذلك أَنَّك تقولُ: "أَبَنَيْتَ الدارَ التي كنتَ على أنْ تَبْنِيهَا؟ "، "أَقُلْتَ الشِّعْرَ الذي كان في نفسكَ أنْ تقولَهُ؟ "، "أفرغت من الكتاب الذي كنتَ تَكتُبُه؟ "، تبدأ في هذا ونحْوِهِ بالفعل، لأنَّ السؤالَ عنِ الفعلِ نفْسهِ والشكَّ فيه، لأنَّك في جميع ذلك متردِّدٌ في وجودِ الفعل وانتفائه، مُجوِّزٌ أَنْ يكونَ. قد كانَ، وأنْ يكونَ لم يَكُنْ.

وتقولُ: "أأَنْتَ بَنَيْتَ هذهِ الدارَ؟ "، "أأَنْتَ قلتَ هذا الشِّعْرَ؟ "، "أأَنتَ كتبْتَ هذا الكتابَ؟ "، فتَبْدأ في ذلك كله بالاسم، ذاك لأنك لم تَشُكَّ في الفعل أنه كانَ. كيفَ؟ وقدْ أَشرْتَ إلى الدارِ مَبْنيةً، والشِّعر مَقُولاً، والكتابِ مكتوباً، وإنَّما شكَكْتَ في

(١) دلائل الإعجاز (١٠٧-١٠٨)

الفاعل مَن هو؟ فهذا منَ الفَرْق لا يَدْفعُه دافعٌ، ولا يَشكُّ فيه شاكٌّ، ولا يَخْفى فسادُ أحدِهما في موضع الآخر.

فلو قُلتَ: "أأَنْتَ بَنيتَ الدارَ التي كنتَ على أنْ تَبنيها؟ "، "أأَنْتَ قلتَ الشعرَ الذي كان في نفسِك أن تَقولَه؟ "، "أأَنْتَ فرغْتَ منَ الكِتاب الذي كنتَ تكْتُبه؟ "، خرَجْتَ منِ كلام الناس. وكذلك لو قلْتَ: "أبَنَيْتَ هذه الدارَ؟ "، "أقلت هذا الشعرَ؟"، "أكتبتَ هذا الكتابَ؟ "، قُلْتَ ما ليس بقولٍ. ذاكَ لِفَساد أنْ تقولَ في الشيء المُشَاهَدِ الذي هو نُصْبُ عينيكَ أموجودٌ أم لا؟ ومِمَّا يُعلَمُ به ضرورةً أنَّه لا تكونُ البدايةُ بالفعل كالبداية بِالاسم أَنك تقولُ: "أقلتَ شعراً قط؟"، "أرأيتَ اليومَ إنساناً؟"، فيكونُ كلاماً مستقيماً. ولَو قلتَ: "أأنتَ قلت شعرًا قط؟ "، "أأنت رأيت إنسانًا"، أحلتَ، وذاك أَنه لا مَعْنى للسؤالِ عن الفاعلِ مَنْ هو في مثلِ هذا؛ لأنَّ ذلك إنما يُتَصوَّر إذا كانتِ الإشارةُ إلى فعلٍ مخصوصٍ نَحْوَ أَنْ تقولُ: "مَنْ قال هذا الشعر؟"، و "من بنى هذا الدار؟ " و "من أتاك اليوم؟ "، و "مَن أذن لك من الذي فعلتَ؟".

وما أشبَه ذلك مما يُمكنُ أن يُنَصَّ فيه على مُعَيَّنٍ. فأمَّا قيلُ شعرٍ على الجملة، ورؤيةُ إنسانٍ على الإطلاق، فمُحَالٌ ذلك فيه؛ لأَنه ليس مما يُخْتصُّ بهذا دون ذاكَ حتى يُسْأَلَ عن عينِ فاعلهِ." (١)

وقاس عبد القاهر التقديم والتأخير مع النفي على التقديم و التأخير مع الاستفهام، فيقول: "وإذا قد عرَفْتَ هذه المسائلَ في "الاستفهام"، فهذهِ مسائلِ في "النَّفي".إذا قلْتَ: "ما فعلتُ"، كنْتَ نَفَيْتَ عنك فِعْلاً لم يَثْبتْ أَنه مفعولٌ وإذا قلتَ: "ما أنا فعلْتُ"، كنتَ نفيت عنك فعلا يثبت أَنه مفْعُول. تفسيرُ ذلك: أَنك إذا قلتَ:

(١) دلائل الإعجاز (١١١-١١٢)

"ما قلتُ هذا"، كنتَ نَفيتَ أن تكونَ قد قلْتَ ذاك، وكنتَ نُوظرْتَ في شيءٍ لم يَثْبُتْ أنه مَقُولٌ؟

وإذا قلتَ: "ما أنا قلتُ هذا"، كنتَ نفَيْتَ أن تكون القائلَ له، وكانتِ المناظرةُ في شيءٍ ثَبَتَ أنه مقُولٌ" (١)

فتقديم الضمير يفيد تخصيص المسند إليه بنفي الخبر الفعلي، وإثبات الخبر الفعلي لغيره، وهذا بخلاف تأخيره، ثم راح عبد القاهر يستنتج الصور التي تنشأ عن هذا الأصل، يقول أ.د: عبد الفتاح لاشين:

"وهكذا نرى عبد القاهر يقلب النفي مع الاستفهام على كل الوجوه الممكنة، ويبين لكل منها معناه الخاص به، ودلالاته الفنية الدقيقة فيه، وكل هذه معان ثانية، وإضافات دقيقة تُفهم من خلال التراكيب. فإذا ولي الفعل النفي كان له معنى خاص، وإذا ولي الاسم النفي كان له دلالة أخرى، ويتولد عن هذا التقديم والتأخير معانٍ لو أخطأ الإنسان فيها لاختلطت المعاني في التراكيب، والتبست الدلالات في الأساليب، وضلَّت الأفهام عند التماس الحقيقة، وتاهت العقول في البحث عن المفهوم، يحسب كل ذلك عبد القاهر بحساب دقيق وفكر سليم وذهن صافٍ."(٢)

والتقديم والتأخير في الخبر المثبت له مزاياه الفنية الدقيقة التي لا تتوفر في أسلوب آخر. وقاس الشيخ عبد القاهر التقديم والتأخير في الخبر المثبت على النتائج التي قررها في التقديم والتأخير في أسلوبي الاستفهام والنفي، قال رحمه الله:

---

(١) دلائل الإعجاز (١٢٤)

(٢) التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر ت:٤٧١هـ(١٢٧-١٢٨) أ.د: عبد الفتاح لاشين . دار الفكر العربي ١٣٤٥هـ ٢٠١٤م

"واعلم أنَّ الذي بان لكَ في "الاستفهام" و "النفي" منَ المعنى في التقديمِ، قائمٌ مثْلُه في "الخَبَر المُثْبَت".

فإذا عمدْتَ إلى الذي أردتَ أن تحدث عنه فعل فقدَّمْتَ ذِكرَه، ثُمَّ بنيتَ الفعلَ عليه فقلتَ: "زيد قد فعل" و "أنا فعلت"، و "أنت فعلْتَ"، اقتضى ذلك أن يكونَ القصدُ إلى الفاعلِ، إلاَّ أنَّ المعنى في هذا القصدِ ينقسم قسمين:

أَحدُهما جليٌّ لا يُشْكِلُ: وهو أن يكون الفعلُ فِعْلاً قد أردتَ أن تَنُصَّ فيه على واحدٍ فتجعلَه له، وتزعمُ أنه فاعلُه دونَ واحدٍ آخرَ، أو دونَ كلِّ أحدٍ.

ومثالُ ذلك أن تقولَ "أنا كتبتُ في معنى فلانٍ وأنا شفعتُ في بابه٢، تُريد أن تَدَّعِيَ الانفرادَ بذلك والاستبدادَ به، وتُزيلَ الاشتباهَ فيه، وتردَّ على من زَعم أنَّ ذلك كان مِنْ غيرِك، أو أَنَّ غيرَكَ قد كتَب فيه كما كتبتَ. ومن البيِّن في ذلك قولُهم في المثَل "أَتُعْلِمُنِي بِضَبٍّ أنا حرشته".

والقسمُ الثاني: أن لا يكونَ القصْدُ إلى الفاعلِ على هذا المعنى، ولكنْ على أنك أردتَ أن تُحقِّق على السامع أَنه قد فعل، وتمنعه من الشك، فأنت

لذلك تبدأ بذِكْره، وتَوَقُّعِه أوّلاً ومِنْ قَبْلِ أن تَذكر الفعلَ في نفسِهِ، لكي تُباعِدَه بذلك من الشُّبْهة، وتَمْنعَه من الإنكار، أَوْ مِنْ أن يُظَنَّ بك الغَلطُ أو التزيُّدُ. ومثالُه قولُك: "هو يعطي الجزيل"، و "هو يُحبُّ الثناءَ"[1]

وتحدث الشيخ عبد القاهر الجرجاني عن تقديم المفعول على الفعل، قال: "منَ البعيد أَنْ يكونَ في جملةِ النظْم ما يدلُّ تارةً ولا يَدلُّ أُخْرى. فمتى ثبتَ في تقديمِ المفعولِ مَثلاً على الفِعل في كثيرٍ من الكلامِ، أَنَّه قد اخْتُصَّ بفائدةٍ لا تكونُ تلك الفائدةُ معَ التأخيرِ، فقد وَجَب أن تكونَ تلك قضيةً في كلِّ شيءٍ وكلِّ حالٍ.[2]

(١) دلائل الإعجاز (١٢٨-١٢٩)

(٢) المرجع السابق (١١٠)

فالتقديم والتأخير في أجزاء تراكيب الكلام يمكِّن المتكلم من توليد العديد من الجمل التي يتطلبها المقام، "ويعد التقديم مظهرًا من مظاهر كثيرة تمثِّلُ قدرات إبانة أو طاقات تعبيرية يديرها المتكلم اللَّقِنُ إدارة حيَّةً وواعية فيسخرها تسخيرًا منضبطًا للإبانة عن معانيه ومقاصده، ومواقع الكلمات في الجملة عظيمة المرونة كما هي شديدة الحساسية، وأي تغيير فيها يحدث تغييرات جوهرية في تشكيل المعنى وأحوالها وصورها وظلالها.[١]

## الأثر النفسي للتقديم:

أبان الشَّيْخُ عبد القاهر الجرجاني عن الأثر النفسي للتقديم، وأنَّ التأكيد المتولِّدَ من التقديم ناشئ من التغيير في نظام الجملة العربية، وأنَّ هذا المسلك ثري بالدلالات النفسية، وأن المتكلم يستثمر طاقات اللغة في تحريك النفس الإنسانية، وأن هذه الخصائص التركيبية تُحْدِثُ في نفس المتلقي ما يشبه هِزَّةَ الطرب، أو تخييلات السحر. وقد قرَّر الشيخ عبد القاهر الجرجاني عن هذا طريق طرح سؤال ثم الجواب عليه، قال: "فإنْ قلتَ: فمِن أينَ وجَبَ أن يكونَ تقديمُ ذِكْر المحدّثِ عنه بالفعلِ، آكَدَ لإثباتِ ذلك الفعلِ له، وأن يكونَ قولُه: "هما يَلبسان المجْدَ، أبلغَ في جعلِهما يلبسانهِ من أن يقال: "يلبسانِ المجد"؟

فإنّ ذلك من أَجْل أنَّه لا يُؤتى بالاسم مُعَرَّى منَ العوامل إلاَّ لحديثٍ قد نُويَ إسنادُه إليه، وإذا كان كذلك، فإن قلت: "عبد الله"، فقد أشعرت قبله بذلك أنك قد أردتَ الحديثَ عنه، فإذا جئتَ بالحديث فقلت مثلاً: "قامَ" أو قلتَ: "خرجَ"، أو قُلْتَ: "قَدِمَ" فقد عُلم ما جئتَ به وقد وطَّأْتَ له وقدَّمتَ الإعلام فيه، فدخلَ على القلب دُخولَ المأنوسِ به، وقلبه قبول المهيأ له المطمئن إليه، ولك لا محالة أشد لثبوته، وأتقى للشُّبهة، وأَمنعُ للشكِّ، وأدخلُ في التَّحقيق.

---

(١) دلالات التراكيب دراسة بلاغية (١٧٦) أ.د: محمد محمد أبو موسى – مكتبة وهبة – ط: ثالثة١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م

وجملةُ الأمر: أنه ليس إعلامُك الشيءَ بغتةً غفلًا، مثْلَ إعلامِك له بعْدَ التنبيهِ عليه والتقدمةِ له، لأنَّ ذلك يَجْري مَجْرى تكريرِ الإعلام في التأكيد والإحكام.

ومن ههنا قالوا: إنَّ الشيءَ إذا أُضْمِر ثمَّ فُسِّر، كان ذلك أفخمَ له مِنْ أن يُذكَر من غير تقدمة إضمار." (١)

فهنا يربط عبد القاهر بين التغيير في نظام الجملة، وأثر هذا التغيير في بناء خواطر ومشاعر المتلقي، وأنَّ التفسير بعد الإضمار له موقع في النفوس يخالف موقع بيان المعنى دون تقدمة إضمار.

وأنَّ للتقديم روعة في النفس تفوت بفواته، وتخرج النفس الإنسانية من حال المتعة والبهجة إلى حال النفور إذا تُرك التقديم، قال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠]

ومثالُ ذلكَ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [الأنعام:١٠٠]، ليس بخاف أن لتقديمِ "الشركاءِ" حُسْنًا وروعةً ومأخذًا من القلوبِ، أنتَ لا تجدُ شيئاً منه إنْ أنتَ أخَّرْتَ فقلتَ: " وَجَعَلُوا الْجِنَّ شُرَكَاءَ لِلَّهِ"، وأنك ترى حالَك حالَ مَنْ نُقِلَ عن الصورةِ المُبْهجة والمَنْظر الرائقِ والحُسْنِ الباهرِ، إلى الشيءِ الغُفْل الذي لا تَحْلَى منهُ بكثيرِ طائلٍ، ولا تصيرُ النفسُ به إلى حاصلٍ.

والسببُ في أن كانَ ذلك كذلكَ، هو أن للتقديم فائدة شريفة ومعنى جليلاً لا سبيلَ إليه مع التأخيرِ. بيانه، أنَّا وإنْ كنَّا نرى جملةَ المعنى ومحصولَه أنَّهم جعلوا الجنَّ شركاءَ وعبدوهُمْ مع الله تعالى، وكان هذا المعنى يَحصُلَ مع التأخيرِ حصولَه مع التقديمِ، فإنَّ تقديمَ "الشركاءِ" يفيدُ هذا المعنى، ويفيدُ معه معنى آخر،

(١) دلائل الإعجاز (١٣٢)

وهو أنَّه ما كانَ يَنبغي أن يكونَ لله شريكٌ، لا من الجن ولا غير الجن. وإذا أخر فقيل: "جَعَلُوا الْجِنَّ شُرَكَاءَ لِلَّهِ"، لم يُفِدْ ذلكَ، ولم يكنْ فيه شيءٌ أكثرُ من الإخبارِ عنهم بأنهم عبَدوا الجنَّ مع اللهِ تعالى، فأما إنكارُ أنْ يُعْبَد مَعَ الله غيرُه، وأنْ يكونَ له شريكٌ مِنَ الجنِّ وغيرِ الجنِّ، فلا يكونُ في اللفظِ مع تأخيرِ "الشركاءِ" دليلٌ عليه."[١]

فهنا تحدَّث الشيخ عبد القاهر الجرجاني عن الروعة الحاصلة من التقديم، ومأخذ القلوب والصورة المبهجة والمنظر الحسن, وكل هذا يدلُّ على عناية الشيخ عبد القاهر الجرجاني بالأثر النفسي للتقديم، وأنَّ هناك فروقًا نفسية ينشئها التقديم تفوت بفواته.

فعبد القاهر الجرجاني يلحظ تأثير الكلام في نفس متلقيه، وهو لا يكتفي بالكشف عن خصائص التراكيب؛ أو السمات التي يتميز بها وما إلى ذلك من نتائج النَّظْم؛ ولكنه يتجاوز ذلك؛ ليوغل في البحث عن الأسباب النفسية والعلل الوجدانية؛ التي تُكسب الكلام رونقه في نفس المتلقي. وهو يفرّق بين مستويين، المستوى الدلالي للتركيب، والمستوى الوجداني للتركيب، فالتركيب يحمل معانٍ وجدانية تغوص في أعماق نفس المتلقي هذه المواجيد النفسية يستثمرها المتكلم ليحوز تفاعل المتلقي.

## ثانياً: الحذف عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني:

يعدُّ الحذف من أهم الظواهر التي تتميز بها اللغة العربية، وظاهرة الحذف من الظواهر اللغوية التي تزيد العربية بيانًا، والحذف من أهم القواعد التحويلية التي اعتمد عليها نعوم تشومسكي، وذلك لما يتمتع به الحذف من خصائص تركيبية، فهو يتمتع بامتلاكه صور عدّة للحذف من الجملة، وقد يتعدى الأمر

(١) دلائل الإعجاز (٢٨٦-٢٨٧)

حذف جزء من الجملة إلى حذف جملة أو أكثر من الكلام، وقد أصبح الحذف في المدرسة التوليدية التحويلية من أهم قواعد التحويل، حيث يقوم بتحويل معاني الجمل، من البنية العميقة إلى البنية السطحية، ولا يظهر الجزء الذي حذفه المتكلم في البنية السطحية، ويعتمد المتكلم على القرينة لتعيين هذا المحذوف لعقل المخاطب، وأن هذا الجزء المحذوف له دور بالغ في بناء المعنى وتصوره لدى المخاطب، وقد أشار الشيخ عبد القاهر الجرجاني إلى أثر الحذف في إثراء المعنى، وقد استهلَّ الشيخ عبد القاهر الجرجاني درس الحذف ببيان قيمة الحذف في النظم، وموقعه في البلاغة العربية، فقال: "هو بابٌ دقيقُ المَسْلك، لطيفُ المأخذ، عَجيبُ الأَمر، شبيهٌ بالسِّحْر، فإنكَ ترى به تَرْكَ الذِكْر، أَفْصَحَ من الذكْرِ، والصمتَ عن الإفادةِ، أَزْيَدَ للإفادة، وتَجدُكَ أَنْطَقَ ما تكونُ إذا لم تَنْطِقْ، وأَتمَّ ما تكونُ بياناً إذا لم تُبِن. [1] والشيخُ عبد القاهر الجرجاني ينزِّل الحذف منزلة عالية في البيان الإنساني يقول: "قد بانَ الآنَ واتَّضحَ لِمَنْ نَظَر نظَرَ المتثبّتِ الحصيفِ الراغبِ في اقتداحِ زِنادِ العَقْل، والازْديادِ من الفضْلِ، وَمِن شأْنُه التوقُ إلى أن يَعْرِفَ الأشياءَ على حَقائقها، ويَتغلغَلَ إلى دقائقها، ويربأ بنفسه عن مرتبة المقلد الذي يَجري معَ الظاهِر، ولا يَعْدو الذي يَقَعُ في أولِ الخاطرِ أَنَّ الذي قلتُ في شأنِ "الحَذْف" وفي تفخيم أمرِه، والتَّنويهِ بذِكْره، وأنَّ مأْخَذَه مَأْخذٌ يُشْبِهُ السِّحْر، ويَبْهَرُ الفِكْر، كالذي قلتُ."[2]

والحذف عنده يجب أن يكون له دليل يشير إليه، قال: ومثلُ ذلك قولُهم: "إنّما يحذَفُ الشيءُ إذا كانَ في الكلامِ دليلٌ عليه"، إلى أشباه ذلك مما لا يُحصى." [3] ويقول أيضًا: "يَسوغُ أن تقولَ: "عندي ثلاثة"، وأنتَ تريدُ "ثلاثةَ

(١) دلائل الإعجاز (١٤٦)
(٢) المرجع السابق (١٧١)
(٣) المرجع السابق(٣٥٢)

أثوابٍ"، ثم تَحذفُ، لعِلْمكَ أنَّ السامعَ يَعْلمُ ما تُريد."[١] وهذا إدراكٌ من الشيخ على أهمية البنية العميقة وعدم الوقوف على البنية السطحية للكلام.

ولحذف المبتدأ الكثير من اللطائف والأسرار التي دعت الشيخ عبد القاهر ليبدأ به حديثه عن حذف المبتدأ ثم تحدث بعد ذلك عن حذف المفعول مبينًا أثر حذف بعض الجملة في بناء المعنى، وأثره في الكلام، قال:"وإذْ قد بدأْنا في الحذفِ بذكرِ المبتدأ، وهو حذف اسم، إذا لا يكون المبتدأ إلا اسمًا، فإن أُتْبعُ ذلكَ ذكْرَ المفعولِ بهِ إذا حُذِفَ خُصوصاً، فإنَّ الحاجَةَ إليه أمسُّ، وهو بما نحنُ بصدده أَخصُّ، واللطائفُ كأنها فيه أَكثرُ، ومما يَظْهر بسببهِ مِنَ الحُسْن والرَّوْنَقِ أَعجبُ وأَظْهَر. [٢]

ويتَّبِعُ الشيخ عبد القاهر المنهج الاستقرائي في رصد ظواهر حذف المبتدأ في اللغة، فيقول:" ومن المواضع التي يطَّردُ فيها حذفُ المبتدأ، "القطع الأولَ، ويَستأنفون كلاماً آخرَ، وإذا فعَلوا ذلك، أتوْا في أكثرِ الأمرِ بخبَرٍ من غَير مبتدأ مثال ذلك قوله:

وَعِلْمتُ أنّي يَوْمَ ذَا ... كَ مُنَازِلٌ كَعْبًا ونَهْدا

قَومٌ إذَا لَبِسُوا الحَدِي... دَ تَنمَّرُوا حَلَقاً وقِدا[٣]

وفي نهاية حديثه عن حذف المبتدأ يقرر الشيخ عبد القاهر أنَّه "ما مِن اسْمٍ أو فعلٍ تَجدُه قد حُذِفَ، ثم أُصيبَ بهِ موضعُه، وحُذِفَ في الحال يَنْبغي أن يُحذَفَ

---

(١)دلائل الإعجاز (٣٨٠)

(٢) المرجع السابق (١٥٣)

(٣) من قصيدته التي مطلعها: لَيْسَ الجَمالُ بِمِئْزَرٍ،... فاعْلَمْ، وإنْ رُدِّيتَ بُرْدَا. ديوان عمرو بن معدي كَرِب الزبيدي (٨٠) جمع وتنسيق مطاع الطرابيشي – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

فيها، إلاَّ وأنت تَجدُ حذْفَه هناك أَحْسَنَ من ذكرِهِ، وترى إضمارَهُ في النفس أَوْلى وآنسَ مِنَ النُّطْقِ به[1]

وميَّزَ الشيخ عبد القاهر بين الحذف الذي تدخله الصنعة، والحذف الجليّ لا تدخله الصنعة، قال رحمه الله عن نوعٍ من أنواعِ حذف المفعول:

"وقسمٌ ثانٍ: وهُوَ أن يكونَ له مفعولٌ مقصودًا قَصْدُه معلومٌ، إلا أنه يُحْذَفُ من اللفظ لدليلِ الحالِ عليه. وينقَسِم إلى جَلِيٍّ لا صنعةَ فيه، وخَفِيٍّ تَدخلُه الصنعةُ." [2]

ويغوص الشيخ عبد القاهر في أسرار حذف المفعول، ويتحدث عن غرض الحذف للمفعول المسكوت عنه، وأنَّ من مقاصد المتكلم في حذف المفعول رغبته في توافر العناية في إثبات الفعل للفاعل دون النظر إلى المفعول، قال رحمه الله: "وإن أردتَ أنْ تزدادَ تَبييناً لهذا الأصل، أعني وُجوبَ أنْ تُسْقِط المفعولَ لتتوفَّر العنايةُ على إثباتِ الفعل لفاعلِه ولا يَدخلَها شَوْبٌ، فانظرْ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِير فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ [القصص:٢٣، ٢٤]، فيها حذف مفعول في أربعة مواضع، إذا المعنى: "وجدَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ " أغنامهم أو مواشيهم و "امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ" غنمهما و"قَالَتَا لاَ نَسْقِي" غنمَنَا " فَسَقَى لَهُمَا " غنمَهما. ثم إنَّه لا يَخْفى على ذي بَصَرٍ أنه ليس في ذلك كلِّه إلاَّ أن يُتْرَكَ ذِكْرُه ويُؤْتى بالفعل مطْلقاً، وما ذاك إلاَّ أنَّ الغرضَ في أن يُعلَم أَنه كان منَ الناس في تلك الحال سَقْيٌ، ومن المرأتينِ ذَوْدٌ، وأنَّهُما قالتا: لا يكونُ منَّا سقْيٌ حتى يُصْدِرَ الرعاءُ، وأنه كان مِنْ

(١) دلائل الإعجاز (١٥٢)

(٢) المرجع السابق (١٥٥)

موسى عليه السلام من عبد ذلك سَقْي، فأمَّا ما كان المَسْقيُّ أغَنماً أم إبلاً أم غيرَ ذلك؟ فخارجٌ عن الغرَض، ومُوْهِمٌ خِلافَه.

وذاكَ أنه لو قيل: "وجَد مِنْ دونِهمْ امرأتينِ تَذُودانِ غنَمَهما"، جاز أن يكونَ لم يُنْكر الذودَ من حَيْثُ هو ذَوْدٌ، بل مِنْ حيثُ هو ذَوْدُ غَنم، حتى لو كان مكانَ الغنمِ إبلٌ لم يُنكر الذودَ كما أنك إذا قلتَ:"ما لك تمنعُ أخاك؟ "، كُنْتَ مُنْكِراً المنعَ، لا من حيثُ هوَ مَنعٌ، بل مِنْ حيثُ هو منعُ أخٍ، فاعرْفه تَعْلمْ أَنكَ لم تَجِدْ لِحَذْف المفعولِ في هذا النحوِ مِن الرَّوعة والحُسْن ما وجَدْتَ، إلاَّ لأنَّ في حَذْفه وتَرْكِ ذِكْرِه فائدةً جليلةً، وأَنَّ الغرَضَ لا يصح إلا على تركه." (١)

وأسرار حذف المفعول عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني لا حدَّ لها، قال: "وليس لِنَتائجِ هذا الحذفِ، أعني حَذْفَ المفعولِ، نهايةٌ، فإنه طريقٌ إلى ضروبٍ من الصَّنْعة، وإلى لطائف لا تحصى." (٢) كما وازن الشيخ عبد القاهر الجرجاني بين البنية العميقة، والبنية المحوَّلة عن طريق استعمال المتكلم للحذف، من أجل حصوله على صورة أدبية رائقة، وقد بيَّن أنَّ أصل الكلام اللغوي مغاير للصورة الأدبية التي انتهت إليها فقال في قول البحتري:[الطويل]

**وكَمْ ذُدْتَ عَنِّي مِنْ تَحامُلِ حَادِثٍ ☆☆☆ وَسَوْرةِ أيَّامٍ حَزَزْنَ إلى العَظْمِ** (٣)

قال:"الأَصْلُ لا محالةَ: حززْنَ اللَّحْمَ إلى العَظْمِ، إلاَّ أنَّ في مجيئهِ به محذوفًا، وإسقاطِه له مِنْ النُّطْق، وتَرْكهِ في الضميرِ، مزَّيةً عجيبةً وفائدةً جليلةً. وذاك أنَّ

---

(١) دلائل الإعجاز (١٦١-١٦٢)

(٢) المرجع السابق (١٦٣)

(٣) من قصيدة مطلعها: أعَنْ سَفَهٍ، يَوْمَ الأُبَيْرِقِ، أمْ حِلْمِ *** وُقُوفٌ برَبْعٍ، أوْ بُكَاءٌ على رَسْمِ؟ ديوان البحتري (٢٠١٨/٣) تحقيق: حسن كامل الصيرفي. دار المعارف ـ الطبعة الثالثة. والسَّورة: السطوة والاعتداء، جاء في اللسان: وَسَوْرَةُ السُّلْطَانِ سَطْوَتُهُ وَاعْتِدَاؤُهُ. لسان العرب مادة (س. و. ر)

مِنْ حِذْق الشاعرِ أَنْ يُوقِعَ المعنى في نَفْس السامعِ إيقاعاً يَمنعُه به مِنْ أنْ يتوَهَّم في بدءِ الأمر شيئاً غيرَ المرادِ، ثم ينصرفُ إلى المرادِ، ومعلومٌ أنه لو أظْهَر المفعولَ فقال: "وسَوْرة أيامٍ حَزَزْنَ اللَّحْمَ إلى العَظْمِ"، لجاز أنْ يقعَ في وَهْم السامع إلى أنْ يجيءَ إلى قولِه: "إلى العظم"، أنَّ هذا الحزَّ كان في بعْضِ اللحم دُونَ كلِّه، وأنَّه قطَعَ ما يَلي الجِلْدَ ولم يَنْتَهِ إلى ما يلي العظم. فلما كان كذلك، وترك ذِكْر "اللحم" وأَسْقَطَه من اللفظ، ليُبْرِئَ السامعَ من هذا الوهمِ، ويَجعلَهُ بحيثُ يَقعُ المعنى منه في أَنْفِ الفَهْمِ، ويَتصوَّرُ في نفسه من أولِ الأمْر أنَّ الحزَّ مضى في اللحمِ حتى لم يَردَّه إلاَّ العَظمُ. (١)

وهكذا كانَ الحذفُ سبيلا للبنية العميقة إلى بنية سطحية، وأنَّ تَرْكَ الذكر أبلغ من الذكر، وأنَّ الصورة الأدبية غايرت الصورة اللغوية.

وازن الشيخُ عبد القاهر الجرجاني بين مستويين في الكلام مستوى مجيء الكلام على أصله، وبين استخدام المتكلم لحذف أحد أجزاء الجملة من أجل نقل الكلام من الحقيقة العقلية إلى المجاز العقلي. وفرَّق رحمه الله بين أصل الكلام والهيئة التي انتهى إليها الكلام، من ذلك قوله:"ومَنْ الذي يَخْفى عليه مكانُ العُلُوّ وموضِعُ المزية وصورةُ الفُرقان بينَ قولِه تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾[البقرة: ١٦]، وبينَ أنْ يُقال: "فما رَبِحُوا في تجارتِهم؟ ".(٢)

وفرَّق بيْن أصل الكلام والحقيقة العقلية في: وَاسْأَلِ أَهْلَ الْقَرْيَةِ، وبين المجاز العقلي في قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف:٨٢] قال: "واعلم أنَّ الكلمة كما توصف بالمجاز، لنقلك لها عن معناها، كما مضى، فقد توصف به لنقلها عن حُكمٍ كان لها، إلى حُكْمٍ ليس هو بحقيقة فيها، ومثالُ ذلك أن المضاف إليه يكتسي إعرابَ المضافِ في نحو: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف:٨٢]، والأصل:

(١) دلائل الإعجاز (١٧٠-١٧١)

(٢) المرجع السابق (٢٩٥)

واسأل أهل القرية، فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل وعلى الحقيقة هو الجرُّ، والنصبُ فيها مجازٌ. وهكذا قولهم: بنو فلانٍ تَطَؤُهم الطريقُ، يريدون أهْلَ الطريق، الرَّفع في الطريق مجاز؛ لأنَّه منقول إليه عن المضاف المحذوف الذي هو الأهل، والذي يستحقّه في أصله هو الجرُّ."[١] وفي دلائل الإعجاز يعود إلى الحديث عن حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، قال: "ما حُذِفَ منه المضافُ وأقيمَ المضافُ إليه مُقامه، مثلَ قولِه عزَّ وجل: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف:٨٢]، ومثل قول النَّابغة الجَعْدِيّ:

**وكيفَ تُواصِلُ مَنْ أصْبَحَتْ ... خُلاَلَتُهُ كأبي مَرْحَبِ**[٢]

وقول الأعرابي:

**حَسِبْتَ بُغَام راحِلَتِي عَنَاقًا ... وما هيَ وَيْبَ غَيْرِكَ بِالعَنَاقِ**[٣]

... لأنَّ المضافَ المحذوفَ مِن نحوِ الآية والبيتينِ، في سبيل ما يُحْذفُ من اللفظِ ويُرادُ في المعنى، كمثل أن يُحْذَفَ خبر المبتدإ والمبتدأ، إذا دَلَّ الدليلُ عليه إلى سائرِ ما إذا حُذِفَ كان في حكْم المنطوق به. [٤]

❁ ❁ ❁

(١) أسرار البلاغة (٤١٦)

(٢) الخلالة الصداقة التي ليس فيها خلل، وأبو مرحب كنية تقال للرجل الحسن الوجه لا باطن، وقيل: أبو مرحب هو الذئب، والبيت من قصيدته التي مطلعها: سَمَا لكَ همٌّ وَلَمْ تَطْرَبِ. وَبِتَّ بِبَثٍّ وَلَم تَنصَبِ. ديوان النابغة الجعدي (٣٩) جمع وتحقيق: د/ واضح الصمد ـ دار صادر بيروت.

(٣) هو لذي الخرق الطهوي في تذكرة النحاة ص ١٨؛ ولسان العرب ١٢/ ٥١ (بغم)، ١٥/ ٨٠ (عقا)؛ وتاج العروس (بغم)؛ ونوادر أبي زيد ص ١١٦؛ المعجم المفصل في شواهد العربية (٥/ ٢٠٨) د. إميل بديع يعقوب – دار الكتب العلمية –الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م وبغام الناقة: صوت لا تفصح به. والعناق: بفتح العين وتخفيف النون، الأنثى من المعز. والخطاب للذئب.

(٤) أسرار البلاغة (٣٠١-٣٠٢)

# الخاتمة

الحمدُ لله وكفى، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ المُصْطَفَى، وبعد:

فقد ناقش البحثُ أثرَ بلاغة الشيخ عبد القاهر الجرجاني على اللسانيات الحديثة، واختار نظرية نَعُّوم تشومسكي (التوليدية التحويلية) محلا لهذه الدراسة، وانتهت الدراسة إلى جملة من النتائج، منها:

– أثبتت الدراسة تأثر نَعُّوم تشومسكي بعلوم اللغويين العرب عامة، وبما سطَّره الشيخ عبد القاهر الجرجاني خاصة في كتابيه: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، سواء أكان هذا التأثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

– أثبتت الدراسة أنَّ نظرية النظم للشيخ عبد القاهر الجرجاني كانت المَهْيَعَ الذي سار عليه نَعُّوم تشومسكي. سواء أذكر هذا نَعُّوم تشومسكي في كتاباته أو لم يذكره.

– رصدت الدراسة مدى عناية نعوم تشومسكي بالنحو، وأن قواعد النحو عنده من ركائز توليد الكلام، وأبان البحث عن أصل هذا الكلام عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني.

– انتهت الدراسة إلى أنَّ ما قام به الشيخ عبد القاهر من شرح وتحليل كيفية تحويل الكلام من صورته الأولى في نفس المتكلم إلى صورته الأدبية النهائية كان هو ما عناه نَعُّوم تشومسكي في نظريته من انتقال الكلام من البنية العميقة إلى البنية السطحية عن طريق قواعد التحويل في اللغة، وذُكر في البحث نموذجين من نماذج التحويل عند تشومسكي قد أفاض الشيخ عبد القاهر فيهما القول، نموذج التقديم والتأخير، ونموذج الحذف.

والنتيجة التي خلص إليها البحث أنَّ صنيع نَعُّوم تشومسكي في اللغة الإنجليزية هو ما صنعه الشيخ عبد القاهر الجرجاني في اللغة العربية، والفضل إنَّما هو للمتقدم.

# جريدة المصادر والمراجع


- أسرار البلاغة . الشيخ عبد القاهر الجرجاني- قرأه وعلَّق عليه الشيخُ: محمود شاكر . دار المدني . ط أولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م
- البحث البلاغي عند العرب من وجهة نظر تحويلية. أ.د: عبد الحكيم راضي – مجلة معهد اللغة العربية . جامعة أم القرى . العدد الثاني: ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م.
- البنى النحوية – نَعُّوم تشومسكي – ترجمة : د: يوئيل يوسف عزيز . مراجعة مجيد الماشطة . وزارة الثقافة والإعلام . بغداد . ١٩٨٧م
- البنيوية (النشأة والمفهوم . عرض ونقد) – محمد بن عبد الله بن صالح . مجلة جامعة الأندلس للعلوم والتقنية . ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.
- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر ت:٤٧١هـ – أ.د: عبدالفتاح لاشين . دار الفكر العربي ١٣٤٥هـ ٢٠١٤م
- دروس اللغة العبرية – كمال ربحي- دمشق- ط : الثالثة- ١٩٦٣م.
- دروس في الألسنية العامة . فرديناَن دي سُوسير . ترجمة صالح الفرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة . الدار العربية للكتاب- ١٩٨٥م.
- دلالة السياق – د: ردَّة الله الطلحي رسالة دكتوراه تحت إشراف أ.د: عبد الفتاح البركاوي – مخطوط بكلية اللغة العربية . جامعة أم القرى . السعودية ١٤١٨هـ.
- دلالات التراكيب... دراسة بلاغية – أ.د: محمد محمد أبو موسى – مكتبة وهبة – ط: ثالثة١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م
- دلائل الإعجاز – الشيخ عبد القاهر الجرجاني- قرأه وعلَّق عليه الشيخ: محمود شاكر- دار المدني – ط ثالثة: ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- ديوان البحتري – تحقيق: حسن كامل الصيرفي. دار المعارف . الطبعة الثالثة.
- ديوان الخنساء – دراسة وتحقيق: د/ إبراهيم عوضين . مطبعة السعادة – الطبعة الأولى ١٩٨٣م.
- ديوان النابغة الجعدي – جمع وتحقيق: د/ واضح الصمد . دار صادر بيروت.

- ديوان عمرو بن معدي كَرِب الزبيدي – جمع وتنسيق مطاع الطرابيشي – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
- شرح الصولي لديوان أبي تمام – دراسة وتحقيق د: خلف رشيد النعمان . وزارة الثقافة والفنون –الجمهورية العراقية. ١٩٧٨م.
- علم اللغة – د: حاتم صالح الضامن . جامعة بغداد.
- قصة الحضارة – وِل ديورَانت – ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين دار الجيل، بيروت – لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس– ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.
- الكتاب – سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر– تحقيق: عبد السلام محمد هارون– مكتبة الخانجي، القاهرة –الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.
- اللغة والعقل: الأفكار السائدة حول المسائل القديمة . نَعُّوم تشومسكي– ورقة مقدَّمة إلى جامعة برازيليا– ٢٥ نوفمبر ١٩٩٦م ترجمة د. بشير محمد.
- مبادئ النحو البنيوي دراسة تطبيقية – د: يحيي بعطيش . مجلة الدراسات اللغوية . جامعة منتوري قسنطينة.
- المدارس اللسانية المعاصرة، د. نعمان بوقرة ـ مكتبة الآداب ـ ٢٠٠٣م.
- المرايا المقعرة – د: عبد العزيز حمودة . عالم المعرفة . أغسطس ٢٠٠١م.
- المسكوت عنه من علم الباقلاني ، أ.د: محمد أبو موسى . مجلة الأزهر . عدد جمادى الآخرة ١٤٣٩هـ فبراير ٢٠١٨م
- مشكلة البنية – تأليف د: زكريا إبراهيم . مكتبة مصر.
- مظاهر النظرية النحوية – نَعُّوم تشومسكي– إصدار عام ١٩٦٥م ترجمة د: مرتضى جواد باقر بعنوان "جوانب من نظرية النحو"، ونُشِرَ بجامعة البصرة عام ١٩٨٥ م
- المعجم المفصل في شواهد العربية – د. إميل بديع يعقوب – دار الكتب العلمية – الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م

- مقتضى الحال بين البلاغة القديمة والنقد الحديث – أ.د: إبراهيم الخولي . دار البصائر . الطبعة الأولى– ٢٠٠٧م
- مكان النحو من نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني – أ.د: إبراهيم الخولي– دار البصائر– الطبعة الأولى ١٤٢٨–٢٠٠٨م
- مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي . بريجيته بارتشت. ترجمة أ.د: سعيد حسن بحيري . مؤسسة المختار ط أولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م
- موسوعة المستشرقين– د: عبد الرحمن بدوي . دار العلم للملايين . بيروت . الطبعة الثالثة ١٩٩٣م.
- النحو بين عبد القاهر وتشومسكي – أ.د: محمد عبد المطلب . مجلة فصول– عدد أكتوبر ديسمبر ١٩٨٤م
- نظرية تشومسكي اللغوية – جون ليونز . ترجمة وتعليق د حلمي خليل . دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية . ط أولى . ١٩٨٥م

# فهرس المحتويات


| | |
|---|---|
| مقدمة | ٢٨٠١ |
| المبحث الأول: المدرسة التوليدية التحويلية | ٢٨٠٥ |
| المطلب الأول: مَن نَعُّوم تشومسكي؟ | ٢٨٠٥ |
| اطلاعه على اللغة العربية: | ٢٨٠٦ |
| المطلب الثاني: أسس المدرسة التوليدية التحويلية: | ٢٨٠٩ |
| نشأة اللسانيات الحديثة في الغرب: | ٢٨٠٩ |
| مولد النظرية التوليدية التحويلية: | ٢٨١٠ |
| أهم المفاهيم التي جاءت بها مدرسة التوليدية التحويلية: | ٢٨١١ |
| ركائز المدرسة التوليدية التحويلية (Generativism): | ٢٨١٢ |
| أولا: ثنائية اللغة والكلام: | ٢٨١٢ |
| ثانيا: ثنائية الآلية، والعقلية: | ٢٨١٥ |
| ثالثا: ثنائية الكفاية والأداء: | ٢٨١٦ |
| رابعا: ثنائية البنية العميقة | ٢٨١٨ |
| شكل رقم: (١) | ٢٨٢٠ |
| شكل رقم : (٢) | ٢٨٢٠ |
| خامسًا: القواعد النحوية أو التحويلية: | ٢٨٢١ |
| "نموذج التحويل | ٢٨٢٣ |
| المقام وإنتاج الكلام: | ٢٨٢٤ |

المبحث الثاني: الجذور التاريخية الجرجانية للنظرية التوليدية التحويلية ٢٨٢٦
المطلب الأول ٢٨٢٦
البنية العميقةُ عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني أصلٌ للبنية السطحية: ٢٨٢٦
الترتيب النفسي للكلام: ٢٨٢٨
المطلب الثاني ٢٨٣١
ربط النحو بالعقل في فكر الشيخ عبد القاهر الجرجاني البلاغي: ٢٨٣١
أثر النظم في الصورة البيانية عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني: ٢٨٣٧
المطلب الثالث ٢٨٤٤
من قواعد التحويل من البنية العميقة إلى البنية السطحية عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني: ٢٨٤٤
أولًا التقديم عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني: ٢٨٤٤
الأثر النفسي للتقديم: ٢٨٥١
ثانيًا: الحذف عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني: ٢٨٥٤
الخاتمة ٢٨٦١
جريدة المصادر والمراجع ٢٨٦٣
فهرس المحتويات ٢٨٦٦

❁ ❁ ❁